الفصل الأول

الشاعر البغدادي؛ الاتجاهات والأَغراض والمضامين الشعرية في ديوان "على جناح نورس"

1- مقدمة الفصل

يترسم الفصل الأول من الدراسة حياة عبد المولى البغدادي، منذ نشأته الأولى حتى صدور ديوانه "على جناح نورس"، الذي يُعد أهم المصادر التي تناولت الشاعر -حياةً وشعرًا- ولعله أبرزها. قدَّم للديوان وعلق عليه رفيقه الدكتور: سليمان السمح الذي وفَّى للديوان فأحسن الذوق وتخير العرض وأبدع في انتقاء العبارات الشاعرة أثناء تقديمه الرائق، وتعليقه الأنيق على قصائد الديوان فكان المصدر الأبرز الذي أخذ عنه من كتب عن البغدادي شعرًا ونثرًا، لذلك فلا غرو أن يتكرر الأخذ عن هذا المصدر في الفصل الأول من هذه الدراسة.

يضم هذا الفصل ثلاثة مباحث؛ يتناول الأول "الإنسان والشاعر" نشأة عبد المولى البغدادي منذ طفولته الأولى مرورًا بمراحل تعليمه، ووقوفًا على أهم مراحل حياته الثقافية والاجتماعية وشاعريته ومحركات إبداعه، ثم قوالبه وأشكال شعره. ويتحدث الثاني "أغراضه ومضامينه الشعرية" عن الاتجاهات التي كتب فيها الشاعر كالاتجاه الوجداني، والديني والاجتماعي، والسياسي والقومي، وعن كل اتجاه نماذج شعرية من الديوان كأمثلة على سبيل الذكر لا الحصر. في حين يدرس الثالث "آثاره ومنزلته بين أقرانه" يتوزع بين تتبع نتاجه الأدبي والشعري حتى هذه الدراسة، وروافده الأدبية وتأثره بالشعراء، ثم استعراض الرؤى النقدية حول شعره. وبذلك يجيب هذا الفصل، عبر مباحثه الثلاث، عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة وهو: من هو عبد المولى

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

البغدادي؟ وما الاتجاهات والأغراض والمضامين الشعرية في ديوانه "على جناح نورس"؟ وما منزلته بين أقرانه الشعراء؟

1.1- المبحث الأول: الإنسان والشاعر

عبد المولى قلبٌ يسع الجميع، أجنحته تكتسح الفضاء وتملأ الكون ضياء، ينحاز للإنسان و الوطن، لم يتملق لسلطان، ولم يهادن، ولم يبح بكلماته المكتوبة بحبر تحديه وكبريائه. بغدادي اللقب ليبي المولد والحياة. عذب الكلم، مرهف الحس، رقيق المشاعر، كالطائر البريِّ لا يستقر على غصن، يدفعه قلقه إلى الحركة الدائبة، متحد رافض للسكون متمرد حتى على نفسه، يسحبه تياره إلى داخله للاتصال بما يكمن في صدره من كلام الله ليقع في تناقض الذات المتمردة مع عوالمه إقناع نفسه بظهور الالتزام، روحه مرحة ومُحيَّاه يبوح بطيبة نفسه وخجلها أحياناً، صوته مدوٍ، ينجذب إليه الجميع، مبدع في وصفه الساحر الساحر (زاهد، زهير. 2007).

1.1.1. المطلب الأول نشأته وحياته

هو عبد المولى محمد البغدادي؛ ولد في السابع من ربيع الأول – سنة 1938 من مواليد شط الهنشير – قرية صغيرة من قرى الساحل الليبي– على مقربة خمسة كيلومترات شرقي طرابلس. يعتمد أهلها على الزراعة البدائية، ولم يكن واضحًا في هذه القرية إلا التدين متمثلاً في الكتاتيب القرآنية التي يتعلم بها الصبية القرآن الكريم ويتسابقون على حفظه على أيدي شيوخ القرية أو شيوخ المناطق المجاورة (البغدادي، عبد المولى. 2010).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

حلَّ عبد المولى على الدنيا، والوطن مايزال يعاني ويلات الاستعمار الإيطالي. فقد عاش والده يتيمًا منذ نشأته الأولى حين أُقتيد والده –جد الشاعر– أسيراً من قريته مسج التوتة الحمراء، ونُفي إلى إحدى جزر صقلية إبّان بدايات الغزو الإيطالي لليبيا، مخلفاً وراءه زوجته وأبناءه الثلاثة القصّر. ولم تلبث الزوجة طويلاً حتى توفيت، فكفلت الأبناء جدتهم لأمهم التي توفيت بعد ابنتها بوقتٍ قصير ليصيروا لكفالة الأقارب فكان لتلك التجربة الأثر العميق في نفس والد الشاعر الشيخ محمد البغدادي أوسط إخوته وسميَّ أبوه الفقيه محمد البغدادي الذي أحبَّ لابنه أن يحمل اسمه ولقبه، فيكون امتداده وصورته بعد رحيله. وقد انعكس أثر يتم الأب على نفس الشاعر، فكان له صدى مؤثراً ظهر في مقدمة قصيدته "وجه بلا قناع" من الخفيف (الديوان: 202، 203):

إنَّ "شط الهشير" لليال يروي ... بعضَ أحداثي التي سبقتني

قصة الفارس الذي عاش عشقاً ... في اغتراب عن ليبياه وشجنِ

واختفى البدر في دياجير روما ... بين بُكمٍ من العلوج ولُكْنِ

وامتطى جُنحَ أسرهِ وتلاشى ... وظلاً راحلاً على غير متنِ

وجفونٌ من اللظى مبحراتٌ ... إثرهُ والسمراءُ تُقصي ويُدني

وتحملت وزره فهو جدي ... وقناع من عاطفيه وبيني

ورث الابن يتماً معنوياً عاشه بعواطفه وخياله الجامح؛ فقد كان كثير التأثر بوالده الذي يحكي له دائماً عن تجربة اليتم المريرة. فالأب اليتيم لم ينطق في حياته بكلمتي "أبي" و "أمي"، هذا ما أخبر به ابنه ذات مرة

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ليبعث في وجدانه جراحاً وآلاماً عميقة يتعايش بها الحرمان ومرارته الذي عاشه والده اليتيم، معبّراً عن شجى تلك المعانة المعتملة في كينونته (الديوان: 203):

والطفولات أدمعٌ ضارعاتٌ	غمرتْ صدرَ أوسط الأخوين
من ثُرى أغزرُ الثلاثةُ دمعاً	وارتقاباً لعودةِ الوالدين
إنه والدي وشيخي وأستا	ذي وقيتارتي وقرة عيني
رضع اليتم والأسى بشفاهٍ	لم تذُقْ طَعم لذةِ الأبوين
يا إخوتي ومحنةُ آبا	ئِي وأبائكم وإرثي وَدَيْني

لم يكن الأب من ذوي اليسار، لكنه ما بخل في توفير حياة كريمة لأبنائه من تجارته التي كان يمارسها في سوق الرباع[1]. كان لوالد عبد المولى دوراً مهمًا في حياة ابنه، فقد أورثه حباً وحساً إنسانياً مرهفاً وعاطفة دينية جياشة، وجعله متعلقاً بقيم الوفاء والإخلاص. ذلك الأب الذي لم يذق طعم السعادة في حياته سوى مرتين -على حد تعبير الابن- الأولى بقدوم ابنه عبد المولى والثانية بخروج المستعمر من بلاده، ما دعى الشاعر إلى تضمين تلك المرتين (الديوان: 203):

وروى كيف أنه ذاق أشهى	مُتعةٍ في حياته مرتينِ
مرةً عندما ولدت، وأُخرى	بخروج العدوّ صَفْرَ اليدين

لم يدرس عبد المولى بالمدارس النظامية الابتدائية إذ لم تكن تلك المدارس توفر التعليم الديني الذي يطلبه الوالد لابنه. لذا فقد بعث به إلى كُتّاب القرية حيث مكث بالكُتّاب إلى أن حفظ القرآن الكريم. ولم يغادر

---

[1]- سوق كبيرة.تم بناؤها 1649 - 1673، من أهم معالم طرابلس القديمة، تقع في شمال شرق مدينة طرابلس القديمة على الساحل الليبي، وسط طرابلس. يباع فيها الذهب والفضة، واللباس الليبي التقليدي، ولوازم الأعراس (الزاوي، الطاهر 1968).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المكان حتى أوائل 1952 في بواكير المراهقة. أدت تلك المرحلة دوراً كبيراً في تشكيل وجدان الشاعر ورسم ملامح شخصيته الأولى. جاءت نهاية الوالد محمد البغدادي مأساوية، اكتملت بها فصول الرواية – التي بدأت باليتم والفقر – بالوفاة إثر حادث سير وهو راكبٌ دراجته متجهاً لمسجد التوتة الحمراء الذي اقتيد منه والده أسيراً؛ ليضيف الابن الشاعر إلى سجل حياته يتماً آخر لكنه هذه المرة حقيقيا (السويح، سعدون. 1999).

وفي مرحلة الكتاب إلى جانب حفظه القرآن، اكتسب عبد المولى أُذناً مشدودة إلى الإيقاع. فكانت أصداء الجرس القرآني وإيقاعاته العذبة تملأ قلبه وأذنه، فينطلق مع ذلك الإيقاع على سجيته، منغّماً عند قرأته لبعض الآيات القرآنية. وإلى جانب القرآن الكريم كان هناك منظومة من المدائح النبوية ينشدها الصبية في الكُتّاب بمناسبة المولد النبوي الشريف؛ تلك المنظومة الإيقاعية كانت مصدرًا آخرًا للإيقاع بالنسبة لطفولة عبد المولى. غير أن مصدراً آخر للإيقاع كان له بالغ الأثر في نفس الصبي تشرَّبه باطن عقله رضيعًا، أحبه وحفظه عقله الواعي صبياً تمثل في هدهدات أمه وهي تهديه النعاس جالبة الكرى لعيون إخوته الصغار (السويح. 1999).

تلقى عبدالمولى تعليمه الأول في معهد أحمد باشا بسوق المُشير في طرابلس، وفيها أتم حفظ القرآن الكريم، وتخرج فيها سنة 1961. كانت بيئة أحمد باشا العلمية؛ بيئة تقليدية رصينة، تقدس التراث، كلاسيكية الطابع والأسلوب تشغل الدراسات الفقهية واللغوية فيها الحيز الأكبر. وكانت تلك البيئة على تقليدها وصرامتها تحفل بالأدب والشعر (السويح، سعدون. 1999، ص: 29). توجه البغدادي بعد إتمام دراسته بكلية أحمد باشاإلى كلية اللغة العربية بمدينة البيضاء التي تخرج منها سنة 1965حاصلاً على درجة

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الليسانس. سافر بعدها إلى مصر، والتحق بجامعة الأزهر، حيث نال منها درجة الماجستير في موضوع "الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي". وواصل دراسته هناك حتى سنة1971 ليعود من القاهرة بشهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف عن أطروحته: "الشعر الليبي الحديث: مذاهبه وأهدافه" (زرقون، قريرة. 2004).

ولقد كانت أم الفتى سيدة يجري الزجل الشعبي على لسانها دونما تكلف، وحينما تحرك في وجدانها باعث للغناء، خلّفت تلك الأزجال أثراً شديداً في نفس الابن؛ التي شُرّعت على عالم الإيقاع الرحب. لقد كانت الموسيقى بمعناها الواسع عالم عبد المولى الطفل؛ من تلاوة القرآن وإنشاد المدائح وزجل الأم –وهي جالسة تطحن الحبوب بالرحى القديمة– وكذلك حفيف جريد النخيل وهدير الأمواج وخرير السواقي. كل تلك المظاهر الإيقاعية غيرها كانت تملأ حياة الطفولة لديه لتترسخ هذه اللوحة الموسيقية في نفس الصبي مشكلةً بذلك الخلفية الانطباعية التي نبتت عنده بذور الشاعرية الوليدة التي ستشهد تطورها التدريجي في مرحلة التكوين الفكري والعلمي. وقد ذلك جسده الشاعر في قصيدته "وجه بلا قناع" قائلاً (الديوان: 201، 202):

يـا قُـراي الـتي احتَضَـنتُ رُبـاً ... مـن فجـرِ الحيـاة واحتضـنتني

رضَّـعتني تمائمـاً، أنشـدتني ... شِـعرُها القـرويَّ واستعشـدتني

فتعلقتُهـا هـوىً قرويـاً ... عفـواً كالسـوء يُـدمِن مُدمِنِ

همـسُ أُمـي وهمسُـها لم يَـزَالا ... في شِـعافي مُحبَّبـاً نِصـفَ قـرن

كـم هـو "الشـطُ" رائـعٌ وجميـلٌ ... هـو رَاحِـي وهمـسُ نـايِي وفـني

وعـذارى النخيـلِ تحسـو شُـعاعاً ... مـن خِضَـابِ مُعَصْـفَرٍ مُطمـئنِّ

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

راقَ في عينهـا الأصـيلُ فهـزّت هَامَهَـا في تـبرجٍ وتثـنِّي

والـدِّلاءُ الثقـالُ تُفـرغُ فاهـا في شِفاهِ اللظى وصافي اللُّجَينِ

والسـاعاتُ بـين رنـةِ عِيـدَا نٍ وطبـلٍ وقـارىءٍ ومُغـنِّ

لعب جامع أحمد باشا -الذي أسسه أحمد باشا القره مانلي 1738- دوراً مهماً في الحياة الدينية والفكرية لسكان مدينة طرابلس، بل وفي كل أرجاء البلاد. فكان منارةَ إشعاع علمي في ليبيا، وبالجامع كانت هناك كلية اسمها كلية أحمد باشا ملحقة بالجامع تعتمد منهجاً شبيهاً بالمنهج الأزهري، درس بها الكثير من طلاب العلم وتخرج منها نفر غير قليل من العلماء والفقهاء والأدباء ولقد كانت الكلية المحطة العلمية الثانية في حياة عبد المولى البغدادي (السويحلي، 1999).

وفي كلية أحمد باشا بطرابلس تلقى عبد المولى تعليمه، إذ التحق بها سنة 1952 بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم بالكُتّاب. كان نظام الدراسة بالكلية تسع سنوات يقضي الطالب أربعاً منها في المرحلة الابتدائية وخمساً في الثانوية. كانت بيئة أحمد باشا العلمية بيئة تقليدية رصينة تقدس التراث، ذات طابع وأسلوب تقليدي محافظ تشغل الدراسات الفقهية والعربية فيها الحيز الأكبر، بيد أن تلك البيئة على تقليدها وصرامتها كانت تحفل بالأدب والشعر (البغدادي. 2010م).

وعند انتقال عبد المولى إلى بيئة أحمد باشا العلمية تتلمذ على شيوخ كان لهم الفضل بعد الله في حياته الأدبية. فكان أبرز شخصيتين مؤثرتين في تكوين عبد المولى ثقافياً في نشأته الأولى هما الشيخان عمر الجنزوري وعبد السلام خليل. عمّق الأول صلته بالتراث فكان له كبير الأثر في ربطه بالشعر القديم وتعميق إحساسه به. وفتح الثاني أمامه آفاق الشعر الحديث، فكان أكثر شيوخه قرباً إلى نفسه حين وجد في صوته

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المولى مدافعاً عن الكلاسيكية واتجاهاتها. وذات مرة رد على قصيدة كتبها زغبية هاجم فيها شيوخ التقليدية، فانتصر لهم عبد المولى بقصيدة جاء فيها (الديوان. 36):

لا يثمر التضليلُ في أوطاننا فاختر لزرعك منبتاً وتُرابا

وكان شعر التفعيلة أو "الشعر المرسل" في تلك الفترة يشق طريقه ويرسم مساراته ويبحث عن آفاق جديدة للتعبير، فخرج مجموعة من الشعراء الشباب في ليبيا أمثال: علي الرقيعي، خالد زغبية، علي الفزاني وغيرهم عن الكلاسيكية إلى الحداثة كما يفهمونها في تلك الحقبة. ولا شك أن عبد المولى كان يتفاعل مع ذلك كله، وربما وجد في الجديد شيئاً من التعبير عما يختلج في نفسه، لكنه كان مأخوذاً بالقديم مشدوداً إليه بتأثير من بيئته العلمية وآراء شيوخه المحافظين (راهد، زهير. 2007).

أنهى عبد المولى البغدادي دراسته الثانوية سنة 1961م، ليطوي سجلاً دام زهاء عشر سنوات قضاها في رحاب أحمد باشا. فتركت تلك المرحلة أثراً بالغاً في تكوينه الشعري والفكري والثقافي. وتوجه بعد ذلك للدراسة الجامعية في كلية اللغة العربية بالبيضاء شرق ليبيا. التي فتحت أمامه آفاقاً أرحب للبحث، وعمقت فهمه للكثير من قضايا اللغة والأدب. تخرج في كلية اللغة العربية بالبيضاء سنة 1965م حاملاً درجة الليسانس بتقدير عام ممتاز. بعدها سافر إلى مصر طالباً العلم، فالتحق بجامعة الأزهر التي نال منها درجة الماجستير في موضوع "الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي" واصل دراسته هناك حتى 1971م، ليعود من القاهرة بشهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف عن أطروحته: "الشعر الليبي الحديث: مذاهبه وأهدافه" (زرقون، قريرة. 2004).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1.1.2- المطلب الثاني: الشاعرية ومحركات الإبداع

الشاعرية حقيقة لم تدرك بعد ولم يستطع علم أن يعرفها، إلّا بوصفها منجزاً تم في صيغة نص لغة شعرية، مثلها في ذلك الحياة التي لا يدرك سرها أحد. فالشاعرية ليست بناءاً لفظيًا ولا قولاً مركبًا من مجموعة أفكار، لكنها حالة تسبق الفكرة والمعاية والكلام والصورة. فهي تأتي محملة بالكلمة والفكرة والصورة بعيداً عن الوضوح؛ تخطف الشاعر من حال يكون عليها إلى حال يصير إليها. فهي ما يضيء كوامن الشاعر ليترك في لغته وهجًا وفي صوره جموح الخيال وفي معانيه تعدداً ليشكل معاً فضاءًا شاسعًا للتأويل، والشاعرية بهذا تأتي كزائرًا أو طيفًا عابثًا يضيء الشاعر ثم يغادره تاركًا نقشاً يعرف باسم "قصيدة". والقصيدة حديثة كانت أم قديمة هي رداءٌ فضفاض وقالب شكلي قد يحتوي الشاعرية أو يفرغ منها، ولا يمكن المقارنة بين قديم الشعر وجديده في الزمان والمكان والحضارات. فالشاعرية في شكلها المنظوم والمنثور سيرورة إنسانية مطردة، لها دلالات وإيقاع ولغة ورؤى، فلكل عصر وحضارة شاعريه وقصيدته النابعة من ثقافته وحضارته وقدرته الإبداعية (خميس، حمدة. 2009).

وتتولد الشاعرية من العلاقة الناشئة بين المعاين والمعاين أي المتلقي والنص وهي علاقة تبادلية لا تكون خصيصة نصية في النص الأدبي إلّا عند الحديث عن دلالتها وإمكانيات تحقيقها، فثمة ظاهر مادي يحقق تلك الإمكانيات والدلائل، من خلال اتساقه وفق هارمونية ما، وهذه الكيفية من الاتساق الهارموني هي التي تسمح بامكانية الشاعرية. لذا فإنّ إدراك الشاعرية يتوقف على العلاقة التي تنشأ بين الظاهر الملموس وبين الشخص المُعاين الذي من دونه لن تتحقق الشاعرية بوصفها عملية تذوقية معقدة لمكونات

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

جمالية معقدة أيضاً. فالمتلقي وحده من ينفتح بوعيه وحسه وذوقه ومشاعره وخبرته على جماليات النص لتتحقق الشاعرية (خفاجي، عبد الجواد. 2005).

وقلَّما تجد شاعراً مُجيداً يحلق في سماء الإبداع إلّا وله تفرد الذوق والدقة في اختيار نصوصه وقُرائها، فالشاعر الذي يجيد بناء جوهر النص من: شرف للمعنى وجزالة للفظ ومناسبة اللفظ للمعنى وإصابة في الوصف وبراعة في التشبيه وحسن للخيال والتأليف وتناغم أجزاء النص، هو الذي ينشئ بين نصوصه وقُرائها علاقة اشتهاء وتواصل فيكون قد أفلح في اختيار نخبة من القُراء الذين يجدون في نصوصه تعبيراً عنهم ومرآة لذواتهم. ويرى حمدة خميس (2009) أنّ المبدع لا يكون مبدعاً؛ إلّا بامتلاكه ثقافة واطلاع واسعين على علوم الأدب بعامة ليعرف كيفونية النص الأغن، فالشاعر هو من يعيش النص في دمه يتغذى من عروقه، وهو عينة مجنونة بهوية النص يعبر بشعريتها ما يمكن التعبير عنه عند العوام، فيكون العدسة التي تلتقط ماغاب عن الآخرين وما لا يمكنهم إدراكه بإعادة صياغة الواقع بالمعنى والحلمة التي أنتجتها تجربته الواعية من خلال ذاته الشاعرة. فالشعر بعض تنفس الورد والشاعرية جدلية فيزيائية بين الطبيعة وعناصرها وكائناتها، والكائن الإنساني؛ وفي هذه الجدلية ينكشف للشاعر سر العناصر وسحرها وثراء الكون والحياة.

يتميز البغدادي بنفسه الشعري الطويل، والوعي التام بجماليات الشعر العربي، واصطناع لغة شعرية لها سلطتها وقدرتها على لفت الانتباه، وجذب المتلقي إلى تأمل عناصرها البنائية، بالإضافة إلى النزعة الأسطورية؛ التي اعطت لشعره مذاقاً خاصاً يميزه عن غيره من الشعراء الليبيين (شوشة، فاروق. 2011). وكانت الذات في شموليتها والوطن في اتساعه هما الموضوعان الأكثر حضورًا في شعر البغدادي الذي لم يكن

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

شاعراً غَزِلاً أومتفلسفاً أو رمزياً، فإنه عميق العاطفة صادق التجربة سلس العبارة واضح اللغة عذب الموسيقى الشعرية (السويح. 1999).

فالبغدادي شاعر نشأ بشاعرية تلازمه لا تخاصمه لكنها تمرض وتصح، تقوى وتضعف تغدو وتروح، كما هي عند الشعراء. فقد ظهرت بوادر شاعريته الأولى في بلاده، ونمت بذرة الشعر عنده لكنها عاشت مرحلة كمون واسترخاء في داخل الشاعر الشاب حينما ذهب للقاهرة صارفاً جهده للبحث العلمي، مختاراً للشاعر أحمد رفيق المهدوي موضوعاً لدراسته في الماجستير. وقد مثلت هذه الدراسة محطة مهمة لشحذ الهمة وأكسدة للذات الشاعرة عند البغدادي. فقد وجد في مدروسه صوتاً متميزاً خرج من رحم التقليدية المجددة والتوق إلى التجديد والتحليق في عوالم شعرية أرحب لحضور الوطن والهيام في الجمال مقتحماً عوالمه دون قيود التقليدية المحافظة، كما وجد عنده جانباً آخراً وافق هوىً في نفسه تمثل في الجانب الساخر الذي تحول عنده إلى شكل تعبيري مكنه من تصوير الأشياء والأشخاص والمواقف تصويراً كاريكاتيرياً وضع فيه مصوريه تحت مجهر الدعابة.

إنّ ملكة البغدادي الروحية الكامنة في أصل ذاته الطبيعية هي هبة الله إليه التي أوجدت عنده عواطف جياشة، صيغت في قوالب جماليات نصوصه لتُلبسها ثوب الشاعرية التي تلقي بأثر النص في نفس المتلقي، ليترجم بدوره بعداً من أبعاد النص الشعري مكوناً جسراً يصل النص بالمتلقي مباشرة باعتباره مبدعاً آخرَ للنص، وهو ما يسمح للمتلقي بإعادة القراءة والتأويل في فضاء النص الرحب. لذلك انفتحت نصوص البغدادي على المتجدد ما دلّ على قيمتها الشاعرية. ولقد أكد عبد المولى في أحد نصوصه أنه شاعرٌ بالفطرة مفتوناً بالشعر منذ ولادته شادياً بأنغامه كيفما أراد. فمنذ عهده الأول حمل في نفسه رسالة الشعر التي

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أخذت تنضج وتتسابك لتسابق عهود العمر والمعرفة، ساعده في ذلك امتلاكه لناصية اللغة وأدوات التعبير الفني النابعة من ذاته المشحونة بوحي من الطبيعة فأخلص للشعر الذي يعتبره رسالة حياة ومشروع أمل، قائلاً من الخفيف في مطلع "القصيدة المدخل" التي تحدث فيها عن الشعر شعرا (الديوان: 63):

وفِينَا بالشعر منذ وُلدنا واستسغنا به لذيذَ البُكاءِ

فاحتسيناه نشوةً ودُموعاً قبل عهدِ الشفاهِ بالأشياءِ

فإلى جانب ملكة الإلهام يخرج عند عبد المولى بعمله في صورة متعمدة توازي الانعكاس الفطري أو غريزة الانفعال لديه، تستكنه في ذلك مشاعره المرهفة ليرسمان سوياً قزحية النص البغدادي، وينتجان ثمرة الشاعرية والإبداع.

ويجمع البغدادي في تشكيل لوحته الأدبية بين الموهبة الكامنة، والوجود الحولي فيناجئ كلاهما الآخر ليحركا معاً مادة الحياة الأدبية لديه المتدفقة في فنيات الأدب والتعبير الساحر، من خلال بث اللاشعور المحتبس لتفاعلات البعد الخارجي مع التراكم الذاتي المخصبين حينها تثبت ماهيته في رحم ولادة الإبداع. لذا فآليات نمو الإبداع لدى البغدادي هي نسيج ينسجم بين ما هو منه من الخارج وعملية التخزين المتفاعلة والنقد الذاتي واعتمالها إيجاباً في نفسه؛ شكّلت هذه المولدات عملية الإبداع في لوحة البغدادي الفنية وانعكاساً لإيدلوجية عمله وشحناته الانفعالية حددتها ثقافته الأدبية ونبع وجدانه وماهية مجتمعه ومرآته العاكسة. ففي قصيدته "وقفة على الشاطىء الستين" من مجزوء الرمل يجري حواراً إبداعياً بين ثلاثة أطرافٍ: الشاعر، ذاته، رحلة وجوده، وبتوظيف فني جميل يُدخل في الحوار طرفاً رابعاً يستمده من المكان الذي ولدت فيه القصيدة (الديوان: 276، 277):

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أَنـا والهزِيـعُ الصـمتُ كَهـفٌ مُطبَـقٌ وضـجيجُ أعـراسِ الحيـاةِ بجـانبي

ولعلهـا الـسـتونَ حالـت بيننـا فبَقَيـتُ بـين مُبَاعِـدٍ ومُقـارِبِ

ويـحَ الخَطـيـب لكـم ترحَّـل جفْنـهُ بين الجُفُونِ عسى يُلِمُّ بصاحبِ

والبحرُ يَنفُثُ من خلال عواصفي بعَواصِفٍ حُمرِ الجُفُونِ رواعِبِ

ناجيتُـهُ يـا بحـرُ مالَـكَ صـاخِبٌ أَفأنتَ تحمِلُ مثلَ حجمِ مصائبي

فأَجَـابَنِي إِنِّي رأَيتُـكَ غاضِـباً فكرهتُ أنْ أَلقَاكَ لستُ بِغَاضِبِ

وذَرَفتَ دَمعَكَ لافتقادِ أَحِبةٍ فـذَرفتُ دَمعـي لافتقـادِ حَبـائِي

وجزيـرتي مِـثـلـي طَـلـيـقٌ شَـارِدٌ مِثلي، وصدر لا يضِيقُ براغبِ

وفي دعوة للتفاؤل ينتصر الشاعر للحب والحياة في قصيدته المترجمة للانجليزية "عندما ينتصر الحب"يكشف فيها من الكامل علاقة التفاعلات الحسية مع تراكم الذاتي (الديوان: 265):

عنـدما تُلقِـي الثيـا عِقـدَها بـين يـديا

وشِـفاهُ الليـلِ نَشـوى تَـلثُمُ الرَّيـقَ الوَفيَـا

والحِمـى الآمِـنُ يزهـو بالسَّـنا طَلْـقِ المُحيا

فأَنـا الأَهنـأُ مَيتـاً وأنـا الأَسـعَدُ حيـا

وهذا لونٌ آخر للشعر الغنائي المشحون بالإيحاءات، والتكثيف الفني شكَّله النسيج الملتحم بين الذات والآخر ليرسم لوحة إبداعية في قصيدة مستوحاة من موعد مزعوم مع حبيب يتراءى خياله للشاعر على شُرفات الربيع الخصب في "حيرة وارتقاب" من المتقارب (الديوان: 337):

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تَقُولينَ ماذا...؟

تَنَاولْ طعامَ العَشاءِ معي؟!

أعيدي بِربِّكِ أشهى حَديثٍ

تفجَّرَ كاللحنِ في مَسْمعي

وأَنتِ على شُرُفاتِ الربيعِ الخصِيبِ

تُقاسينَ مِثلي صمتَ الخريفِ وبردَ الشتاءْ

تَحُوبينَ وحدكِ مِثلي دُرُوبَ الحياةِ الكسيحةْ

فأيُّ عَشاءٍ كهذا العَشَاءْ

وأيُّ مساءٍ كهذا المَسَاءْ

وعبد المولى ابن بيئته؛ فقد وقف عن عالمه الذي يملؤه بالموسيقى بالمعنى الأوسع، انطلاقاً من أزجال أمه على الرحى مروراً بالحياة اليومية بقريته وما فيها من موسيقى الطبيعة المتنوعة إلى تلاوة القرآن الكريم والمدائح النبوية التي كان ينشدها وزملاؤه وصولاً إلى موسيقى الحب التي تردد أصداؤها حوافر خيل العربات على الإسفلت في المدينة (طرابلس)؛ ولأن الشعر في جوهره إيقاع وموسيقى فقد كانت الموسيقى خبز عبد المولى اليومي. حيث ترسخت كل الألوان الموسيقية سالفة الذكر وغيرها في نفس الفتى لتشكل الخلفية الانطباعية التي نمّت بذور الشاعرية لديه (السويح. 1999).

إنّ معايشة البغدادي الطويلة والمعمقة لشعر أحمد رفيق جعلته ينفذ إلى جوانب متعددة من شاعريته متأثراً برفيق التجديد، رفيق الوطن، رفيق الدعابة؛ تأثراً كان له واضح الأثر في تشكيل ملامح شاعريته فيما بعد. ولعل أهم الجوانب التي مثلت القاسم المشترك بين الشاعرين هي معايشتهما لوطنٍ مغتصبٍ منهكٍ،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عاشه المهدوي تحت حكم مستعمر إيطالي أذاقه مرارة الاغتراب والنفي ومتاهة البحث عن الهوية. كذلك عاشه البغدادي وهو ما يزال يعاني ويلات الاستعمار ورواسب يتم والده تلازمه لا تبرح قلبه المشحون بكراهة ذلك المستعمر، فكان الوطن باتساع جراحه برزخاً بين الشاعرين.

لقد تفاعل البغدادي مع المكان والزمان؛ فكان إبداعه سلالة واقعه الذي تعامل معه بإحساسه وخياله، فمثّل الاحساس نتاج تجربته الانفعالية، وأسلوبه مشروع خياله، في تلاقح بين الواقع والذات الشاعرة ليخصبا ولادة النص الإبداعي. نظر عبد المولى إلى الواقع كمعطى إبداعي؛ قالباً علاقته الكلاسيكية بالواقع والشعر في تفاعلٍ دينامي مع أدوات الكتابة الشعرية، باستعارة لغته التي تنسجم ولغة الحلم، ما جعله يتوغل في شعرية الواقع بكل تعقيداته وتشابكاته، بوعي قصدي منه، ليس بما يعايشه ويصطدم به فحسب بل بمجمل التفاعلات الخفية التي تخترق الواقع المحسوس. لذلك انطلق البغدادي من حقائق الواقع المحسوس- مصدر الإبداع – إلى خيالٍ يزدان به الواقع ليمتلئ معاً خلفية الإبداع البغدادي.

1.1.3- المطلب الثالث: القوالب والأشكال الشعرية

تتعدد الأشكال والشعر واحد؛ إذ يظل الشعر شعراً بكل عناصره الأساسية، طالما تحققت فيه روح الشاعرية والإبداع، فهو تعبيرٌ فني له خصوصية القدرة على الأداء الجمالي لأي مضمون تميزه عن باقي أنواع الأدب، فالجمال صنف الشعر وفضاؤه الفسيح الذي لا يلجأ منه إلّا إليه. والتفريق بين مضمون الشعر وشكله يُعدّ تجربة بشرية بحسب رؤى الشاعر وقدراته. فلا ضير في أن يبحث الشاعر على قوالب وأشكال جديدة على ألّا تكون على حساب الشاعرية التي هي روح الشعر.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فالإنسان متطلع إلى التجديد مواكب للحداثة حازم أمتعة البحث عن المنشود. والشاعر بمشاعره النابضة وحسه المرهف أكثر الناس تطلعاً إلى الأفق وما وراءه، يتوق ذوقاً إلى التجديد في شعره على مختلف الجوانب. ولا ينحصر التجديد في الشعر في قوالبه وأشكاله؛ بل هناك من يلتزم شكلاً واحداً للشعر كالعمودي مثلاً لكنه يجدد في جوانب أخرى كالمعاني والألفاظ والتراكيب والصور وغيرها. في حين تجدُ الكثير من الشعراء سيما في العصر الحديث مثل نزار قباني، بدر شاكر السياب، وبولند الحيدري تطلعوا إلى التجديد في أشكال الشعر تماشيًا مع القافلات الجديدة، وإرضاءً للحداثة، وموضة العصر(زاهد، 2007).

ولعله من الأسباب والدواعي التي حدتْ بالشاعر العربي الحديث أن ينحو بأتجاه شكل تعبيري جديد يحمل مضامين شعره هو البحث عن شكل يتيح له حرية أكبر في التعبير عن موضوع الحياة المحدث، منطلقاً من الخلاص من قيد القوالب الموسيقية المتمثلة بالنظام العروضي للقصيدة العربية في وزنها و قافيتها. غير أن السعي وراء المحدث كان يركز على الخروج عن نظام القافية دون الوزن حتى لا يفقد الشعر صفته السامية على الكلام العادي، كما أنه بحاجة إلى الحفاظ على سمة القافية في صورة مرنة لأثرها في الصياغة المعنوية و المضمونية للموضوع الشعري عبر ما تحمله من نغم موسيقي (التميمي، عبد الله. 2008).

وفي رحلة البحث عن الجديد في فضاء الشعر العربي الحديث؛ دأب الشعراء والنقاد في محاولاتهم لإيجاد شكلاً شعرياً يناسب الأطر المضمونية للشعر، فشهد حقبتهم صراعاً بين ما هو مستقر في الأذهان وما هو منشود، في محاولة لإثبات مكاناً للجديد عبر شكلٍ يخرج عن المألوف القديم لاستيعاب الحداثة الحياتية؛ من خلال رؤية موضوعية للأشكال الشعرية التي أخذت تتداخل وتتجاذب بين بعضها البعض مع اقترابها في الدلالة في أحايين كثيرة (الكبيسي، طراد. 1989).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

إن المحاولات المستمرة لايجاد شكل تعبيري جديد يناسب مرحلة الحياة الأدبية العربية الحديثة أفضى بأصحابه إلى أشكال كتابية أطلق عليها أصحابها شعراً، وإن كانت خصائصها ترتبط بالنثر وتنتمي إليه بوشائج أصدق في الجانب النثري، غير أنها ربما تحتفظ بنوع من التسامي الوجداني في تحريك مشاعر الإنسان جعل أصحابها يربطونها بالشعر (العلاق، على. 2003) فمن الأشكال الشعرية الحديثة "القصيدة الحرة" التي خرجت من رحم الشعر العمودي لاحتفاظها بجزئيات الشعرية الأصل من خلال البناء العروضي واعتمادها نظام التفعيلة بصفة جديدة، تمتعت القصيدة الحرة بحظ وافر من حرية التصرف الذي أتاح لكاتبها الإفلات من قيد التفعيلة الواحدة. ومما ساعد في نشأة الشعر الحر وأمدَّه بمقومات التطور والانتشار العاملان: الاجتماعي، والنفسي، من خلال ما طرأ على المجتمع من تبدل في أنماطه الحياتية والفكرية والحضارية (النويهي، محمد. 1971).

ومن أشكال الشعر الحر "قصيدة النثر" التي انطلقت ووجدت على شكل تعبيري في الشعر العربي الحديث. يعود في أصله إلى أثر أجنبي استهوى الشاعر العربي منذ بداية القرن العشرين حين كان مأخوذاً بالبحث عن أشكالٍ تناسب مرحلة عصره. حيث تعود قصيدة النثر في أصلها إلى الأدب الأوربي لا سيما الفرنسي، ومصطلح "قصيدة النثر" الموسوم بالشكل الكتابي الشبيه بالشعر والنثر معاً هو الأشهر والأكثر استقراراً من بين مايصل إلى خمسة وعشرين مصطلحاً تداوله الشعراء والنقاد (المناصرة، عز الدين. 2002).

وإلى جانب قصيدة النثر هناك أشكال شعرية قيد الانطواء يأتي في مقدمتها "الشعر المرسل" الذي يعد النسج على منواله أولى المحاولات الجادة للخروج على الشكل العمودي، وهو خروج في حقيقته ليس إلّا محاولة إفلاتاً من بعض قيود القافية حسب المعنى المراد، لأنَّ الشعر المرسل ما هو إلّا الشعر الموزون غير المقفى

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يستوعب ظاهرة العصر الحديث. أما الشعر المنثور، والنثر الشعري فهما شكلان كتابيان ارتبطا بالنثر أصدق الارتباط، أما النثر المركز فهو نثر اعتيادي رسم على سطور متوالية غير متساوية الطول كأنها الشعر الحر دون أن تعكس شاعرية (موسى، منيف. 1984).

ومع هذا الصراع حول جديد الأشكال الشعرية ظلت القصيدة العمودية تختال في عباءة التسامي، تأتي بعدها القصيدة الحرة التي خرجت خارج سرب الأشكال الحديثة الأخرى لا سيما قصيدة النثر التي تأرجحت طويلاً بين الرفض والقبول حسب مستواها الشعري مع احتفاظها بهامش من الاستقرار عند جمهورها. أما باقي الأشكال كـ "الشعر المرسل، الشعر المنثور، النثر الشعري، النثر المركز" بمختلف تسمياتها تكاد تنزوي عن الساحة الشعرية المباشرة (التميمي. 2008).

استطاع البغدادي أن يسبر غور نفسه من خلال تأمله في اكتناه العالم من حوله، فجاءت أغلب قصائده وكأنها تحكي الغائر بالمسبار؛ ليبحر في المدرستين الأصالة والحداثة. حيث حوى ديوانه "على جناح نورس" مزيجاً بارقاً اجتمع فيه الشعر العمودي والمقطعي والحر، ولم يلتفت لباقي الأشكال تماشياً مع ذوقه الذي يرفضها، ففي معرض إجابته عن قصيدة النثر وهل يرى فيها هروباً من العجز عن كتابة شعر التفعيلة؟ أجاب: أعتبر الخروج عن البحور موضة..أقبل الموجود ولا أستطيع أن أتذوقه (عبد القيوم، عيسى. 2010).

وبالإضافة لهضم التراث استطاع البغدادي أن ينفتح على عصره بفضل ثقافته التي استوعبت الجديد الجيد، فتنوعت قوالب وأشكال شعره بتنقله السلس بين الأصالة والتجديد ليشكل لوحة فنية ازدانت بجمال الذوق وعبقرية الإبداع. فضم ديوانه إحدى وأربعون قصيدة، في ألف وخمسمائة وثلاثة وأربعين بيتا (1543)؛ توزعت بين الشعر العمودي والمقطعي والحر على النحو التالي:

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أولاً: قصائد الشعر العمودي: كان لهذا النوع من الشعر النصيب الأوفر في الديوان حيث بلغ عدد قصائد الشعر العمودي إحدى وثلاثين قصيدة من مجموع قصائد الديوان، أي بنسبة 75.60%. كتبها الشاعر في ستة بحور من بحور الشعر جاءت حسب سعد بن عبد الله الواصل (2010)، وإيميل يعقوب (1996)، وعبد العزيز عتيق (1987) على النحو التالي:

1. **دائرة المُخْتَلِف:** هي أولى الدوائر العروضية التي تتصدر العروض العربي، وتتكون من ثمانية تفاعيل، وسُمِّيَت بدائرة المختلف لاختلاف أجزائها بين خماسية (فَعُوْلُنْ)، و(فَاْعِلُنْ)، وسباعية (مَفَاْعِيْلُنْ)، و(مُسْتَفْعِلُنْ). وأبحرها ثلاثة مستعملة وهي: الطَّوِيْل، والمدِيْد، والْبَسِيْط، وبحرين مهملين هما: المستطيل أو الوسيط، والممتد أو الوسيع. وقد كتب عبد المولى في بحرين مستعملين منها هما:

أ. **الطويل:** كتب الشاعر على وزنه ثلاث قصائد: (أحبة قلبي عللوني، الفقيد الراحل، الكتاب)، وبعدد أبيات (107) بيتًا، كما في الجدول رقم (1.1)، أما وزنه بحسب الدائرة العروضية:

فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ ** فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُن

الجدول رقم (1.1) قصائد الطويل

ت	اسم القصيدة	عدد أبياتها
1	الفقيد الراحل	51
2	أحبة قلبي عللوني بنظرة	50
3	تحية إلى كتاب علم الحشرات	6
الإجمالـــــــــــي		107

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ب. البسيط: كتب عبد المولى على وزنه خمس قصائد هي (برقية عاجلة، ولقاء وحوار، وعندما تسبح النسور، وأشواق عربية مهاجرة، وإلى الزراعة)، بإجمالي أبيات (171) بيتًا، كما هو مبين في الجدول (1.2). أما وزنه حسب الدائرة العروضية فهو:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ ** مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُن

الجدول (1.2) قصائد البسيط

ت	القصيدة	عدد أبياتها
1	أشواق عربية مهاجرة إلى الحبشة	80
2	إلى الزراعة في العيد الثلاثين	51
3	لقاء وحوار	15
4	وعندما تسبح النسور	13
5	برقية عاجلة أخرى إلى بلقيس	12
الإجمـــــالي		171

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

2- **دائرة المُؤْتَلِف**: ثاني الدوائر العروضية، وهي سداسية التفاعيل، وسميت بالمؤتلف؛ لائتلاف أجزائها السباعية المتألفة من تفعيلات سباعية مؤتلفة: (مُفَاْعَلَتُنْ)، (مُتَفَاْعِلُنْ)، (فَاْعِلاتُنَ). وتضم بحرين مستعملين هما: الوافِر، والكامِل، وبحراً مهملاً هو: المتوفر. وقد كتب عبد المولى في بحريها:

أ. **الوافر**: كتب الشاعر على هذا الوزن تامًا قصيدتين هما (دمعة وفاء، واللص والشيخ الظريف)، ومجزوءًا قصيدة واحدة (مساء الخير والشعر)، وبلغ إجمالي أبيات الوافر في الشعر العمودي (134.5) بيتًا، كما هو موضح في الجدول (1.3). أما وزنه حسب الدائرة العروضية:

مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ فَعَاْعَلَتُنْ ** مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ

الجدول رقم (1.3) قصائد الوافر

ت	اسم القصيدة	التام	المجزوء
1	دمعة وفاء	77	-
2	مساء الخير والشعر	-	38.5
3	اللص الظريف والشيخ	59	-
الإجمالي		96	38.5

ب. **الكامل**: كتب فيه تامًا ثلاث قصائد: (الإبحار إلى الجهول، ووقفة على شاطئ المستين، سعدون والسمراء)، ومجزوًا في قصيدة واحدة: (يا من يغار على اليمن)، وهو ثاني البحور استعمالاً عند البغدادي حيث بلغ إجمالي أبياته في الشعر العمودي (189) بيتًا، كما هو مبين في الجدول (1.4) ووزنه حسب الدائرة العروضية:

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ ** مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ

الجدول رقم (1.4) قصائد الكامل

ت	اسم القصيدة	التام	المجزوء
1	الإبحار إلى المجهول	86	-
2	وقفة على شاطئ الستين	67	-
3	سعدون والسمراء	19	-
4	يا من يغار على اليمن	-	17
	الإجمـــــــــالي	172	17

3- دائرة الْمُشْتَبِه: هي رابع الدوائر العروضية من حيث التأليف، بعد دائرة المختلب التي سيجيء الحديث عنها في الشعر المقطعي، والحر؛ لأن الشاعر أمن الكتابة على بحورها في الشعر العمودي. وتضم دائرة المشتبه ستة أبحر مستعملة هي: السريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث، وثلاثة أبحر مهملة هي: المتئد، والمنسرد، والمطرد. وسُميت بهذا الإسم لاشتمالها تفاعيلها؛ إذ تشتبه تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) بـ(مُسْتَفْعِ لُنْ) و(فَاْعِلاتُنْ) بـ(فَاْعِ لاتُنْ)، وتفاعيلها سباعية هي: مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِ لُنْ، فَاعِلاتُنْ، فَاْعِ لاتُنْ، مَفَاْعِيْلُنْ، مَفْعُوْلاتُ. وكتب عبد المولى البغدادي في بحر واحد من هذه الدائرة:

أ. **الخفيف:** من أكثر البحور التي استعملها الشاعر في ديوانه "على جناح نورس"، فقد كتب عليه اثنتا عشرة قصيدة هي (القصيدة المدخل، جراحات لبنان، لقاء وعودة، الإحساس بالفجيعة، عيد الغربة، نزيف الغربة، وجه بلا قناع، الوداع الوداع، شؤون، المعزون كلهم سعدون، بكائيات، على هامش ندوة). وبلغ عدد

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أبياته في الديوان (575) بيتًا كلها في العمودي كما هو مبين في الجدول رقم (1.5) ووزن الخفيف حسب الدائرة العروضية:

فَاْعِلاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاْعِلاتُنْ ** فَاْعِلاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاْعِلاتُنْ

الجدول رقم (1.5) قصائد الخفيف

ت	اسم القصيدة	عدد أبياتها
1	الإحساس بالفجيعة	111
2	القصيدة المدخل	107
3	بكائيات على مقام العشق النزاري	94
4	[illegible] بلا قناع	86
5	[illegible] لبنان	51
6	الوداع الوداع	31
7	[illegible] الغربة	26
8	[illegible] الغربة	24
9	[illegible]	16
10	على هامش [illegible]	14
11	لقاء وعودة	8
12	المعزون كلهم سعدون	7
	الإجمـــــــــالي	575

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

4- **دائرة المُتْفِق**: هي الدائرة الخامسة في ترتيب الدوائر العروضية. وأبحرها اثنان مستعملان هما: المتقارَب والمتدارك، وسميت بالمتفق لاتفاق أجزاءها الخماسية المتألفة من تفعيلات خماسية مكررة: فَعُوْلُنْ، فَاْعِلُنْ. وقد كتب عبد المولى في بحر واحد منها:

أ. **المتقارب**: كتب فيه الشاعر ثلاث قصائد (رسالة شعر، حوار مع الشابي، على سلم الطائرة). وبلغ عدد أبياته (160) بيتًا في العمودي كما مبين في الجدول (1.6) ووزنه بحسب الدائرة العروضية:

فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ ** فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ

الجدول رقم (1.6) قصائد المتقارب

	اسم القصيدة	عدد أبياتها
1	حوار مع الشابي	92
2	رسالة شعر	49
3	على سلم الطائرة	19
الإجمالي		160

وبعد استعراض الدوائر العروضية وبحور الشعر التي استعملها عبد المولى البغدادي في قصائد الشعر العمودي الواردة في الديوان تبين أنه كتب في ثلاثة أبحر ممزوجة التفاعيل: (الطويل، والبسيط، والخفيف)، وثلاثة أبحر صافية التفاعيل: (الوافر، والكامل، والمتقارب)، بإجمالي ستة بحور من أصل ستة عشر بحرًا. وسوف يأتي تفصيد سبب المد، والجزر البغدادي في استعمال بعض الأوزان الشعرية وإهمال الآخر في الفصل الثاني الموسوم

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بـ" السمات الأسلوبية للأنماط الموسيقية عند البغدادي". والجدول (1.7) يبين قصائد الشعر العمودي التي

وردت في الديوان حسب الإسم والمطلع والبحر:

الجدول (1.7) قصائد الشعر العمودي

القصيدة	المطلع		البحر
مساء الخير والشعر	مساءُ الخيرِ والشعرِ	مساءُ النورِ والبُشْرِ	مجزوء الوافر
القصيدة المدخل	وفُتِنَّا بالـ[illegible] منذ ولدنا	واستسغنا به لذيذ البكاءِ	الخفيف
جراحات لبنان	صرخُ لبنانَ [illegible] دم باسْمي	لا تدينوا بهدمه أيَّ خصمِ	الخفيف
برقية عاجلة	[illegible] نحن حقاً يمانون؟ يا فِتَناً	تسعَّرت في حِمانا تَحْرِقَ الْيَمَنَا	البسيط
يا من يغار على اليمن	يا [illegible] يغار على اليمنْ	ويذود عن شرفِ اليمنْ	مجزوء الكامل
لقاء وحوار	[illegible] وى العراقُ من حبٍّ وإيثارِ	وما سرى فيه من نورٍ ومن نارِ	البسيط
رسالة شعر	أناشدك الله يا [illegible] دَ المجيدا	مناشدةً مالها مِنْ مَزِيدْ	المتقارب
حوار مع الشابي	تملكني [illegible] طِرْ بي [illegible]	بخَضْرَائنَا في ربيعٍ خَضِرْ	المتقارب
على سلم الطائرة	على قمم [illegible] العاشرةْ	من الشوق واللهفة الغامرةْ	المتقارب
لقاء وعودة	يا جنود الإخاء [illegible]	من صميم المشاعرِ الأخوية	الخفيف
الإحساس بالفجيعة	بينما كنتُ في [illegible] الأخيرِ	من [illegible] حالكٍ سقيمٍ مريرِ	الخفيف
عندما تسبح النسور	في قلعةٍ من قلاع [illegible]	في حُضنه تتمطى بين أذرعهِ	البسيط
عندما تُلجم النوارس	يا من يردُّ إلى السماءِ بُرُوجَها المتحاتْ	ويُجيرُها من جور [illegible] الرياحِ الجائراتْ	مجزوء الكامل
عيد الغربة	يذكُرُ العيدُ أنَّهُ كانَ عيـ[illegible]	[illegible] أعاطِرَ الشهر [illegible] سعيدا	الخفيف
نزيف الغربة	يا رفيقَ الضياعِ حسبي ضياعا	آن للجرحِ أن يبوح [illegible]	الخفيف
وجه بلا قناع	ها أنا ذا ألُوحُ خَافِتَ لَحْنٍ	[illegible] لي لا [illegible]	الخفيف
الإبحار إلى المجهول	وبدأتُ أُبحِرُ في الهَزِيعِ الثَّاني	من زاخرِ الأحداتِ والأمطارِ	الكامل
أحبة قلبي عللوني	أحبةُ قلبي عللوني بنظرةٍ	أشدُّ بها أروي إذا وهن الأثرُ	الطويل
أشواق عربية مهاجرة	سَلِي جُفُونَكِ يا سمراءُ ما فَعَلَتْ	بنازحٍ غَرَّهُ في دَرْبِكِ السَّفَرُ	البسيط
وقفة على شاطئ	يا شاطىء الستينْ جِئْتُكَ سابحاً	وتركتُ في عرض الرياح مراكبي	الكامل
دمعة وفاء	عُبَيدَ كيفَ رَحلْتَ دُني؟	وكيف حَجَبتَ شَمسَكَ عن عُيوني؟	الوافر

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الفقيد الراحل	أحقًّا أخِي سَعدُونُ ماتَ رفيقُنا	وبعدَ سُويعاتٍ تُوَارُنَه القبرا	الطويل
الوداع الوداع	أيُّها "الخالدُ" الذي آثرَ الخُلْـ	ـدَ حَياةً لَهُ وأيُّ حياةِ	الخفيف
سعدون و السعد	سمراءُ ليْتَكِ تُدْركينَ فحاذري	أنْ تَمْنحي هذا المعَذبَ موعدا	الكامل
شؤون	شَغَلَتْنا الحياةُ يا سعدون	بشُؤُونٍ تَكُونُ أولاَ تَكُونُ	الخفيف
المعزون كلهم سعدون	هاتِ بعض العزاءِ يا سعدونُ	فكِلانا مُعذَّبٌ محزون	الخفيف
بكائيات	انشَجِي يا عواصفَ الشعرِ نارا	وانْدُبينا فقدْ فقدنا نِزارا	الخفيف
اللص والشيخ الظريف	يدُ الشِّمال تبحثُ دون جدوى	عنِ الأموالِ في جيب الخطيب	الوافر
تحية إلى كتاب علم	كتابٌ حَوَى سِرَّ الحياةِ مُخَبَّأً	بأنفاسِ خلقٍ لا نُحيطُ بهم عِلمَا	الطويل
على هامش ندوة	أيُّها الباحثون عمّالًا بَحَثْتُمُ	لِلحَيَارَى في شَرْقِنَا عن هويّةْ	الخفيف
إلى الزراعة	ماذا سأختارُ يا زهرَ الرياحِينِ	إلى الزراعةِ في العيدِ الثلاثينِ	البسيط

ثانياً الشعر المقطعي: يُعنى بالشعر المقطعي ما تتغير فيه القافية ويجري وفق مقاطع ثنائية وثلاثية، أو أكثر، وقد ظهرت أنماطه كالمزدوج، والمسمط منذ فترة متقدمة من تاريخ الشعر العربي. فالمزدوج هو اختلاف القافية في البيت الشعري عما يليه بحيث يلتزم الشاعر قافية موحدة لمقطعي البيت. أما المسمَّط فهو الذي يبتديه الشاعر ببيت مصرع، ثم يردفه بأربعة أشطر تخالف القافية، ثم يعيد مقطراً من جنس ما بدأ به. على أن هذين النمطين انحسرا انحسارًا شديدًا؛ فالمزدوج قصَره الشعراء على أغراض تعليمية، وحِكَمية ملتزمين فيه ببحر الرجز؛ إذ يتيح لكثرة زحافاته وعلله نظم الحكايات الطويلة والعلوم الصرفية، ولم يتعدَ إلى أغراض الشعر العربي المعروفة. أما المسمط فإن محاولات الشعراء فيه اقتصرت على أغراض وجدانية.

والواقع أن الشعر المقطعي قد تعددت أنواعه وأشكاله في الشعر الحديث، ولم يقتصر على مضامين معينة فانطلق به الشاعر الحديث معالجًا المضامين التي فرضتها طبيعة الحياة والعصر والمؤثرات. كذلك تعدى إلى التنويع الموسيقي للقصيدة من خلال دمج البحور داخل القصيدة الواحدة، أو تنويع البحر المستعمل،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

والخروج عن النظام العروضي. وقد تأثر الشعر المقطعي بالدعوة إلى التخلي عن أسلوب القافية الموحدة في القصيدة، فراح الشاعر العربي ينوع في القوافي على غرار ما وجده في الشعر الغربي (إسماعيل، جمال 2007).

وقد نظم البغدادي في النمط المقطعي أربع قصائد فقط، وهي نسبة قليلة لم تتجاوز (12.20%) من إجمالي قصائد الديوان، وجاءت القصائد في أربعة أبحر مقسمة على ثلاث دوائر عروضية هي:

1- دائرة المُؤْتَلِف: ثاني الدوائر العروضية، وقد سبق الإشارة إليها في الشعر العمودي. وكتب الشاعر فيها قصيدتين في بحريها: الوافر، والكامل. حيث جاءت القصيدة الأولى (تعزية حرى إلى أنصار بيريز العرب) من مجزوء الوافر، وتكونت من ثمانية مقاطع مختلفة العدد، احتوى المقطع الأول خمسة أبيات، والثاني، والرابع، والخامس، والسادس، والسابع ستة أبيات، وجاء المقطع الثالث في أربعة أبيات، في حين كان الأخير في ثلاثة أبيات. أما القصيدة الثانية فكانت (مفاجاة) من مجزوء الكامل، وتكونت من مقطعين اثنين، احتوى المقطع الأول ثمانية أبيات، وجاء الثاني في ستة أبيات. كما هو مبين بالجدول رقم (1.8).

دائرة المُجْتَلَب: ثالث الدوائر العروضية بعد دائرة المؤتلف، وتضم ثلاثة أبحر هي (الهزج، والرجز، والرمل). وسميت بالمجتلب لأن تفاعيلها اجتلبت من الدائرة الأولى (المختلف)، وهي سباعية التفاعيل (مفاعيلن، مستفعلن، فاعلاتن). واستعمل الشاعر من هذه الدائرة بحرًا واحدًا:

أ. الرمل: يستعمل الرمل تامًا ومجزوءًا، وقد كتب عبد المعطي على مجزوئه قصيدتين الأولى (عندما ينتصر الحب) التي تكونت من اثني عشر مقطعًا تساوت في عدد أبياتها فاشتمل كل مقطع على أربعة أبيات، كما هو مبين بالجدول (1.8). أما القصيدة الثانية فكانت (الأهزوجة الخضراء)، وجاءت في أربعة مقاطع اختلفت في عدد أبياتها، فاشتمل المقطع الأول، والثاني على أربعة أبيات، واحتوى الثالث ستة أبيات، وجاء

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المقطع الرابع في خمسة أبيات، مع تكرار المطلع المكون من بيتين مع بداية كل مقطع ليكون مجموع أبياتها (29) كما بالجدول رقم (1.8). أما وزن البحر حسب الدائرة العروضية:

فَاْعِلاتُنْ فَاْعِلاتُنْ فَاْعِلاتُنْ ** فَاْعِلاتُنْ فَاْعِلاتُنْ فَاْعِلاتُنْ

2- دائرة المُتْفِق: لقد سبق الإشارة إليها في الشعر العمودي. وكما كتب عبد المولى في الشعر العمودي على بحرها المتقارب كذلك فعل في المقطعي فجاءت الكتابة على هذا البحر في قصيدة (سحابة صيف) المكونة من ثلاثة مقاطع مختلفة في عدد أبياتها، جاء المقطعان الأول، والثالث في بيتين لكل منهما، واحتوى المقطع الثاني أربعة أبيات، كما هو بالجدول (1.8).

الجدول رقم (1.8) قصائد الشعر المقطعي

ت	القصيـــــدة	عدد المقاطع	عدد الأبيات
1	عندما ينتظر الحب	12	48
2	تعزية حرى الى أنصار بيروت	8	42
3	الأهزوجة الحمراء	4	29
4	مناجاة	2	18
5	سحابة صيف	3	8
الإجمالـــــــي		29	145

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

والجدول (1.9) يبين قصائد الشعر المقطعي الواردة في الديوان حسب الإسم والمطلع والبحر:

الجدول (1.9)

القصيدة	أبيات من المقاطع	البحر
تعزية حرّى إلى أنصار بيروت العرب	أُعـــزِّي فيـــكَ يـــا بيروتُ أنْصَـــاراً وأعوانـــا وأحبابـــاً وجيرانـــاً وأشـــياخاً ورُهبانـــا أُعـــزي فيـــك مـــن وثِقُـــوا ومَـــنْ ســـبَقُوا ومَـــنْ لَحِقُـــوا ومَـــنْ سَمَحُـــوا ومَـــنْ رَمَحُـــوا ومَـــنْ صَـــهَلُوا ومَـــنْ نهقُـــوا	مجزوء الوافر
عند ما ينمو الحب	عنـــدما تَنْطَلِـــقُ البـــذرةُ في الأرضِ الخصـــيبهْ وينـــالُ الـــزرعُ مـــن شـــتى الرِّعايـــاتِ نصـــيبهْ عنـــدما تُـــورِقُ في الإنســـانِ أغْصـــانُ المحبـــهْ ويـــرى في غـــدِهِ المخْضَـــرِّ عينيـــهِ وقَلْبَـــهْ	مجزوء الرمل
مناجاة	ســـعدونا هـــل لي أنْ أُبْـــدِيَ لـــكَ مـــا بقلـــبي مـــن شـــجون فلأنـــتَ في عـــينِ الهـــمومِ تلـــوحُ لي في كـــل حـــينِ ســـعدونا مـــا أقـــولي والـــرؤى مِثلـــي غريبـــهْ أحســـنُ الهيـــمِ الوحيـــدةِ الخرســـاءِ مـــن كـــأسٍ كئيبـــهْ	مجزوء الكامل
سحابة صيف	وداعـــاً أيّهـــا الـــلّيلُ الطويـــلُ إنّي لراحِـــلْ وأُبْعِـــدُ مـــا أُحـــاوِلُ، فـــالمنى أبـــداً فاعِـــلْ وداعـــاً أيّهـــا الـــدّربُ الـــذي لســـتَ الرفيـــقْ ولســـتَ الخليـــلَ لـــي وفيَّ الصـــديقْ	المتقارب
الأهزوجة الخضراء	اجعَلُـــوا العِلـــمَ وســـيلةً وتِـــلاداً للســـعادَهْ إنمـــا الـــدنيا شـــبابٌ وكتـــابٌ وإرادَهْ اقـــرأوا الكـــونَ كتابـــاً وارقَـــوا للمجـــدِ بابـــا فـــدُعَاءُ الحـــرفِ للهِ دُعـــاءً مُســـتَجابا	مجزوء الرمل

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ثالثاً الشعر الحر: إن تنوع التجربة الشعرية لدى البغدادي أوجد في ديوانه إلى جانب النمط العمودي والمقطعي، قصائد من الشعر الحر (شعر التفعيلة) التي جاءت قليلة جدًا في الديوان. حيث لم تتعدَ خمس قصائد من إجمالي قصائد الديوان، أي بنسبة (12.20%) كما هو في النمط المقطعي. لكن للشاعر العديد من القصائد التي نظمها على هذا الشكل كقصيدة: محمد الدرة، ومحاربة التدخين، وقصيدة في صدام حسين،...وغيرها. فهذه القصائد الثلاث وغيرها كتبها شاعرها بعد جمع الديوان، مما يجعل أي حكم مقتصرًا على ما في الديوان لا على نتاج الشاعر (حسن، علي. 2008) وقد نظم عبد المولى قصائد الشعر الحر في أربعة أبحر مقسمة على دائرتين عروضيتين هما:

1- دائرة المُجْتَلَب: الثالث الدوائر العروضية، وقد سبق الإشارة إليها في النمط المقطعي. واستعمل الشاعر من هذه الدائرة بحرين هما:

أ. الرجز: هو ثامن البحور الشعرية عند العروضيين، وثانيها في الدائرة. لكنه الأول في استعمال الشاعر في الديوان، فقد جاء في قصيدتي: (هل يستطيع الخليل أن أثور؟، وأطفال ورجال)، وبعدد (91) سطراً بين القصيدتين، كما بالجدول رقم (1.10). أما وزنه حسب الدائرة العروضية فهو:

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

ب. الرمل: كتب فيه عبد المولى في الشعر المقطعي، والحر، فجاء في الشعر الحر ثاني البحور استعمالاً، فقد كتب فيه قصيدة (أين حكام العرب)، في (87) سطراً، كما بالجدول (1.10)، أما وزنه فقد سبق عرضه في الشعر المقطعي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ج. **المتدارك:** هو آخر البحور الشعرية في ترتيبها العروضي، وسمي بهذا الإسم لأن الأخفش تداركه على الخليل، ولم يسجل له حضور في الشعر العمودي. أما في الشعر الحر عند عبد المولى فقد جاء رابع الترتيب في الديوان

فارضًا إيقاعه على قصيدة (شكراً مندوبة أمريكا)، في (48) سطراً، كما في الجدول (1.10). أما وزن البحر حسب الدائرة العروضية:

فَاْعِلُنْ فَاْعِلُنْ فَاْعِلُنْ فَاْعِلُنْ ** فَاْعِلُنْ فَاْعِلُنْ فَاْعِلُنْ فَاْعِلُنْ

د. **المتقارب:** فضلا حضور هذا البحر في العمودي والمقطعي، كذلك استعمله البغدادي في الشعر الحر في قصيدة (حيرة وارتقاب) في (20) سطراً، ليتذيل الترتيب استعمالاً في هذا الشكل، كما بالجدول (1.10).

الجدول (1.10) قصائد الشعر الحر

ت	القصيدة	عدد الأسطر
1	أيّ حكام العرب؟	87
2	هل سلح الخليل أن أثور؟	53
3	شكراً مندوبة أمريكا	48
4	أطفال وشوال	38
5	حيرة وارتقاب	20
الإجمـــــــــالي		236

ومما سبق يتضح أن عبد المولى البغدادي لم يخالف المتعارف عليه عند العروضيين في الكتابة على أوزان الشعر الحر، فقد كتب في أربعة أبحر، وجاءت كلها من البحور الصافية وهو السائد استعماله في هذا

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الشكل. فبحور الشعر المتعارف عليها عند العروضيين: الكامل، والرمل، والهزج، الرجز، والمتقارب، والمتدارك، والسريع، والوافر، وتسمى البحور الستة الأولى بالبحور الصافية، أربعة منها يتألف شطرها من تكرار تفعيلة واحدة ثلاث مرات وهي: الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) والرمل (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) والهزج (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن)، والرجز (مستفعلن مستفعلن مستفعلن) وهي البحور الأربعة التي كتب فيها البغدادي قصائد الشعر الحر الواردة في ديوانه "على جناح نورس". وهناك بحران يتألف شطر كل واحد منهما من أربعة تفاعيل وهما: المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعولن)، والمتدارك (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن). أما السريع، والوافر فهما من البحور الممزوجة، فشطر السريع (مستفعلن مستفعلن فاعلن) وشطر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن). أما البحور الثمانية الباقية فلا تصلح للشعر الحر لأن بعضها ذو تفعيلات متنوعة لا تكرار فيها، وبعضها الآخر لا تتكرر التفعيلة في شطره مجاوزاً كما في البحور الصافية. فلا يجوز للشاعر تكرار تفعيلة واحدة في شطر واحد، لأنه سينتقل بوزن القصيدة إلى آخر، فلو كرر مثلاً: تفعيلة الطويل الأولى (فعولن فعولن) لأصبحت القصيدة من المتقارب، ولو كرر تفعيلة الطويل الثانية (مفاعيلن مفاعيلن) لأصبحت من الهزج (السبع، حسام. 2012). والجدول (1.11) يبين قصائد الشعر الحر في الديوان:

الجدول (1.11) قصائد الشعر الحر

اسم القصيدة	أسطر من القصيدة	البحر
هل يسمح الخليل أن أثور؟	هل يسمحُ الخليلُ أن أثورَ مرةً على أطلالِ بيتِهِ القديمْ أعيشُ لحظةً واحدةً مُحَلِّقاً على جناحِ نورسٍ طليقْ	الرجز
	أطفالُنا أكثرُنا رُجُولةْ	

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أطفال ورجال	يا ليتنا لم نبرحِ الطفولهْ تنطلقُ اللأّءاتُ من صدورِهِمْ قَنَابِلا فتَنْسِفُ الأَحجارُ من أَكُفِّهِمْ مَعَاقِلا	الرجز
شكراً مندوبةُ أمريكا	بَصَقَتْ مندوبَةُ أمْرِيكَا في وجه سَمَاسِرَةِ الحلِّ السِّلمي لتجربَ لونَ طبيعَتِهِمْ بعد التطبيعْ وتُغَيِّرُ وَضْعِ برانِسِهِمْ وقَلَانِسِهِمْ بعد التركيعْ	المتدارك
أين حكام العرب؟	يا فلسطين النبوةْ زَلزِلِي الأرضَ التي تحتَكِ إنْ صارتْ عَدوةْ فجِّري الأرضَ بجيلٍ غَاضِبٍ أقوى فُتوةْ إنَّهُ الجيلُ الذي يكبُرُنا عزماً وقوةْ	الرمل
حيرة وارتقاب	تَقُولينَ ماذا...؟ تَناوَلْ طعامَ العَشاءِ معي؟! أعِيدي بِكِ أشهى حَديثٍ تفجَّرَ كاللحنِ في مَسْمعي	المتقارب

1.2- المبحث الثاني: أغراض البغدادي ومضامينه الشعرية

الشعر لا قاموس له؛ يتصف بالسهولة الممتنعة حيناً إيحائية عميقة. فحقوله مرتبطة بالذات والوجدان وبعلاقة الذات مع الآخر، تتنوع طرق نظمه بين المحاكاة والسرد. أغراضه ومضامينه متعددة كأشكاله، لذا يقع كل شاعر على ما يستهويه منها ويلهمه. ولم يركن البغدادي إلى غرض واحدٍ. فقد تنقل بين بساتين الشعر مستنشقاً أنفاس زهره، قاطفاً أغراضه ومضامينه ورداً، جامعها باقة خلّابة تسر الناظرين، وتأسر المتلقين. فاستطاع البغدادي الوقوف من الأغراض والمضامين الشعرية كغيره من الشعراء موقفًا أملته عليه طبيعة عصره، مقبلاً على البعض معرضاً عن الآخر؛ فضم ديوانه "على جناح نورس" الشعر الوجداني، والشعر الديني

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والاجتماعي، والشعر الوطني متضمناً القومية والسياسة، والشعر التاريخي والتعليمي، أما الغزل فجاء مبثوثاً في قصائده الوطنية متغزلاً بالوطن. لذلك يناقش الباحث الأغراض الشعرية لدى البغدادي في ثلاثة مطالب، الأول: الاتجاه الوجداني. والثاني: الاتجاه الديني والاجتماعي. والثالث: الاتجاه السياسي، والوطني كما في الفقرات الآتية.

1.2.1- المطلب الأول: الاتجاه الوجداني

الوجدان في أصول اللغة: لما ضاع أو لما يجري مجرى الضائع في ألّا يعرف موضعه (العسكري، أبو هلال 1994) والوجدُ: "وجدت في المال وجدا بضم الواو. وفي الغنى جِدة بكسر الجيم. ووجدت الضالة وجدانا. ووجدت في الحب وجدا بالفتح" (الكفوي، أيوب. 1993: 943) وتطلق لفظة "الوجدان" في المفهوم الفلسفي على معنيين الأول: كل إحساس أولي باللذة أو الألم، والثاني: ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة (المعجم الوسيط. 2010).

في الاصطلاح: الوجدان تعبير عن حالة نفسية وانفعال عاطفي مفرح أو مؤلم. وفي الأدب هو: الإحساس الداخلي لإدراك قيمة العمل الأدبي (التونجي، محمد. 1993). لذلك فالوجدانية قيمة فنية تكشف عن باطن الشاعر ورؤيته لما حوله مترجمة لذاته الشاعرة واستجابتها الطبيعية.

الشعر وجدانٌ؛ فيه كلمة واحدة تعبر عن كل جامع، الصدمة التي توقظ كل الأحاسيس. المعبر عن مكنون الحنايا، عالم التأملات العميق الذي لا يخضع لقانون غير التجربة القصوى، فالشاعر ليس شاهداً بل فاعلاً باعتباره جزءًا لا يتجزأ من عالمه الذي يمارس فيه البناء على الذكرى "الأطلال" فهو متمرد على

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الخضوع والانحناء، رافض للقالب المحدد والتعايش مع النغم السائد بتسليط الضوء على الوجدان واللامرئي (القاضي، فاروق. 2004) فالوجدانية ليست جديدة على الشعر العربي؛ جذورها ممتدة في أعماقه ولعل الحركة العذرية في العصر الأموي أقرب ألوان الشعر العربي إلى الشعر الوجداني الحديث وإن اختلفت عنه باختلاف العصر والقيم الاجتماعية مما يطبع الأدب بطابعه الخاص.

والوجدانية حركة إيحائية تقوم في جوهرها على اكتشاف الفرد لذاته، واعتزازه بثقافته، وتطلعه إلى المثل الإنسانية من حرية وعشق للجمال والكمال، ونفور من القبح والتخلف. وقد حملت هذه الحركة –من الناحية الفنية– عبء التجديد والخروج من الأنماط الشعرية القديمة المكررة وابتكار صيغة شعرية يمتزج فيها التراث بالعصرية، وتكتسب فيها الألفاظ دلالات جديدة وقدرة جديدة على الإيحاء باعتمادها على مفهوم فني حديث ينتفع بالنظريات الجديدة في الأدب والفن والموسيقى واللغة (القط، عبد القادر. 2003).

ويمثل الاتجاه الوجداني تياراً من تيارات الشعر العربي الحديث ومنهجاً في قراءة الشعر ونقده، ولعل أبرز مميزاته الهروب إلى أحضان الطبيعة، والتوحد معها نتيجة الشعور بالغربة واليأس من المجتمع والحب الضائع المتميز بصوفية المعاني، والتأمل في الحياة وما وراءها (سيوني، جمال. 2008). وفي كثير من الأحيان تجمع الصورة الشعرية الوجدانية بين التناقض والتماثل معاً؛ كأن يقابل الشاعر بين كآبته وفرحة الطبيعة من حوله، فيستقصي مظاهر الكآبة المادية والنفسية في أجزاء متقاربة الدلالة ويقابل بينها وبين صورة مستقصاة لمظاهر الجمال في الطبيعة (القط. 2003). فلقد كشفت الوثائق الفنية الوجدانية التي اكتنزها ديوان البغدادي صدق الشاعر وشفافيته وتقلباته في رحلة الوجود بين النجاح والجراح، وبين الذاتية ومعانقة هموم الآخرين.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

موحداً بين الذات والموضوع، فجاء شعره صريحاً مبتعداً عن المراوغة، عاكساً لخفايا ذاته محققاً في أغلب قصائده الوحدة النفسية والعضوية بفعل تلاقح العاطفة بالخيال مجسداً بذلك مقومات الشعر الوجداني.

ومن وجدانيات البغدادي أنه أوغل في خطاب ذاته النازفة من شدة الألم ومرارة المعاناة إبان رحلة الغربة التي اتخذته خليلاً حيناً من الدهر ليس بقصير. ففي إحدى محطات العواطف الجياشة الصادقة وترقق الحس وصفو الذات؛ يعترف قلب الشاعر وتبوح ذاته بعفوية معلناً الفراق الذي آن أوانه، ثائراً في وجه الضياع متمرداً على تجربة الاغتراب سائماً منها صارخاً في مستهل قصيدته "نزيف الغربة" من الخفيف (الديوان: 193):

يـا رفيـقَ الضـياعِ حسبـي ضـياعاً ... آن للخِـلِّ أن يـودِّعَ خِلَّـهْ

تعِـبَ العاشِـقُ الولـوعُ وملّـتْ ... كـأسُ أحلامِـهِ الفـراغَ وملَّـهْ

الفِـراقُ الطويـلُ أهـونُ جُرحـي ... بسـعيرٍ مِـنَ الأسـى والمذلَّـهْ

يـا غريبـاً عـن الـديارِ تـوارى ... خَلـفَ أحزانِـهِ، وعـاقرَ ذُلّـهْ

امْـلإِ الكـأسَ مـن جراحِـكَ مـن ... ركايـا دمائِـكَ الـمُنهَلَّهْ

ومن وجدانياته احتواء قصيدته "الإبحار إلى المجهول" خواطر متداخلة أوحت بها رحلتا: الخمسين من عمره، ورحلة قصيرة قام بها إلى بعض بلدان الشرق الأقصى. وقف البحر في نوبته على شواطئ خمسينه، مراقباً ما انقضى، متأملاً حصاد سنيّه التي خلت ليعلن متذمراً أنه لم يجنِ من خمسة عقود مضت سوى السراب على حد تعبيره، متوجداً من الكامل (الديوان: 213):

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وبـــدأتُ أبحِـــرُ في الهزيـــع الثـــاني مِـنْ زاخـرِ الأحـداثِ والأزمـانِ

وشـواطئي الخمسـون قـد حطمتُهـا وجلستُ أرقُبُ مصرعَ الشُّطآنِ

ماذا جنيتُ سِوى السرابِ وهل لنا غـيرُ السـرابِ بواحـةِ الحرمـانِ

ويستمر البغدادي في إبحاره نحو المجهول حاملاً همومه وهموم الآخرين، صارخاً من مرارة التيه وحرقته، غير آبه بأنته هاتكاً قناعها متبرئاً من نرجسيتها، بائحاً لقارئه المبحر معه عن معاناته بصدق وشاعرية (الديوان: 214):

لـــا تسخن طـواهُ الحمـى في بيدائِـهِ وَالـهْفَتَاهُ على الشـريدِ العَـاني

مـا لُوعـتُ بـا يـؤَجِّجُ حُـرقَتِي مـا كـانَ عَـنْ ولـعٍ بِـهِ أغنـاني

هاتِ اسقِني يا ليلُ همساً صارخاً ينسـابُ مـن شـفَتَيْكَ كالطوفـانِ

هـاتِ المعـاقِرَ والمزاهِرَ، ابقِني وحـدي لأعْـزِفَ للدُّجى أَلحاني

غـيرتُ في سِـجني سَـجَايَ ملامحي لِتَغـيرَ بعـضَ ملامِـحِ السـجانِ

رسم الشاعر في هذه القصيدة الآنفة مشاهد حوالية؛ مثلث بانوراما حياة كاملة عبر عقود خمس في معظمها نغمة أسى وحزن، الأمر الذي يجد فيه بعض عارفيه غرابة وتناقضاً، فهذا الإنسان المنكسر هو ذلك المرح البشوش الضاحك في وجه الحياة العبوس، لكن من يصغي في هذه القصيد هي ذات الشاعر التي تنطوي على كثير من الأنكسارات. فتكررت في القصيدة استعارات موحية ومبتكرة غريبة في سرياليتيها (السويح. 1999). فقد جاءت الألفاظ: (مرايا الريح، واحسرتاه، ضاعت سُدى، تناثرت ألحاني، تورمت قدماي، زوابع ودخان، بمنعرج اللوى، الصدى، ريشة صماء، كفّين ترتجفان، العبث المعربد، الأحزان، أجنحة السراب،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كسرتُ فرشاتي، عدت لوحدتي، الصخور، شائك العيدان) معبّرة عن قسوة المعاناة وشدة الألم (الديوان: 216، 217):

كشمسٍ مرايا الريحِ زيفَ مشاعِرٍ ... كانت تُعَربِدُ في دَمِي وكياني

وَاحَسرتاهُ معالمي ومغانِمِي ... ضاعت سُدَى وتناثرت ألْحاني

وتورمتْ قدماي من ركضي إلى ... لا شيءَ غيرَ زوابعٍ ودُخانِ

لتضيعَ آمالي بمنعرجِ الهوَى ... وأظَلُّ أُبْحِرُ في الهزيعِ الثاني

ومعَ الطلوعِ أبحرتُ أحمِلُ رِيشةً ... صماءَ في كفينِ ترتجفانِ

لأُمارسَ العبثَ المعربدَ في دمي ... وأُلَطِّفَ الأحزانَ بالأحزانِ

لكِنَّ أجنحتَ السرابِ تساقطتْ ... مُرتاعَةَ الأرواحِ والأبدانِ

فكسرتُ فُرشاتي وعدتُ لوحدَتي ... بينَ الصُّخورِ وشائِكِ العِيدَانِ)

أُوفد البغدادي من جامعة "الفاتح" بليبيا إلى جامعة "أديس أبابا" بالحبشة لتدريس اللغة العربية. حيث قضى هنالك سبع سنوات خصبة في عطائها الشعري نظم فيها العديد من لآلئ الشعر الوجداني؛ عبَّر من خلاله عن محنته الذاتية –الاغتراب– وقضايا الآخرين، ولعل قصيدته: "أشواق عربية مهاجرة إلى الحبشة" خير مثال على جمال تلك الدرر الوجدانية، حيث أمتزج فيها التاريخ والأسطورة بعواطف الشاعر وأحاسيسه، وتناغمت ذات الشاعر مع الآخرين لترسم ملحمة عشقٍ عذري بين الشاعر وقرائه والإنسان حيثما وجد. جاء السويح (1999) بتقدّم رائق للقصيدة آنفة الذكر آسر به المتلقي وجعله يتأرجح بين التوق إلى معانقة أبياتها وبين الانسياب مع نثره الأنيق.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تكونت القصيدة من سبعة مقاطع، توالفت جميعها في وحدة واحدة محورها انطباعات عن الحبشة في نفس الشاعر. ففي المدخل يبدأ البغدادي بخطاب "سمرائه" مترسماً خُطى أسلافه، غير أنه يوظف خطابه الشعري توظيفاً فنياً جميلاً في سياق مجازي شديد الإيحاء ثري الصور (السويح. 1999). فاستهل قصيدته آمراً سمراءه بسؤال جفونها عمَّا فعلته به عند ارتمائه في أحضانها، مستبدلاً لفظة الغريب بالنازح، إيحاء بانفصاله وانقطاعه عن موطنه وكأنه باستخدام لفظة "النازح" يُومئ ببقائه في حدود بلده مستبدلا المكان بآخر أكثر أنساً وأمناً في بوح يحمل شجىً شفيفاً ونشوة ترح وفرح، حركت في نفسه كل تلك المشاعر الفضفاضة متوسلاً بالبسيط (الديوان: 251):

سَلي جُفونَكِ يا سمراءُ ما فعلتْ ... بنازحٍ غَرَّهُ في دربِكِ السفْرُ

صادي الجوانحِ في الصحراءِ غُربتِه ... ما هَزَّهُ الشوقُ إلّا بَاتَ يَستَعِرُ

أبحرتُ في موجِكِ الفضيِّ ليس معي ... إلّا المشاعِرُ أُذكيها فتنهَمرُ

وتتوالى مقاطع القصيدة في سمفونية رائعة واختلاف، تنم عن صورة الشاعر في مرآة كوامنه، حاملة روحه وهواجسه إلى ذوات الآخرين، مسترخية وإياهم على شواطئ المعاناة. ففي المقطع الثاني يرسم عبد المولى مشهداً إنسانياً لعازف ربابة يجوب الديار بحثاً عن رزقه، لكن زامر الحي لا يطرب! فالناس منشغلون وكل يعزف في ذاته ربابته ولا يستمع إلّا لأنينها. فقد صوَّر الشاعر الحالة التي يعيشها ذلك العازف التائه بين لحنه وعوزه صوراً مأسوية طغى عليها الإحساس بعدم الجدوى (الديوان: 252، 253):

يا رَاحِلاً في فِجاجِ الأرضِ ليس لهُ ... إلَّا الربابةُ مَلْهاةٌ وَمتَّجَرُ

لم تُبْقِ مِنْهُ الليالي غيرَ حُلكَتِهَا ... دَبَّ النُّعَاسُ فلا لَهْوٌ ولا سَمَرُ

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

في ما يُحَدِّقُ لا يدري لقد طُمِسَتْ ... فيه الحياةُ فلا سَمْعٌ ولا بصرُ

يُروِّضُ النغَمَ الجَافي يَهزُّ به ... عَطفَ النَّدامى فما اهتزوا ولا شعَرُوا

فلاذ بالصمتِ واسترختْ أناملُه ... على الربابةِ لا حسٌّ ولا خَبَرُ

وارتدَّ في حلقِهِ ما كان ينشُرُهُ ... على موائِدِ سُمّارٍ بِهِ سَخِرُوا

مقاطع القصيدة، باقة نرجسة من الشعر شكَّلها وجدان الشاعر الرقراق؛ لتنثر شذاها في أحاسيس المتلقي وتُفَتِّح أساريره على مراءة النفس بلذة عقلية تحاكي الفكر بالذات الجامحة في الخيال. فجاءت أبيات القصيدة مترفة في الدقة، وكانت ألفاظها قوالب معانيها، فسمراء المقطع الرابع حُطام إنساني مستباح الهوى مذبوح الأنوثة، استطاع البغدادي أن يصوره ويعبر عنه بعمق إنساني وجرأة عذرية تنم عن أخلاق أديب محافظ، غايته الذود عن سمرائه مبرراً خطيئتها. فجاءت أبيات هذا المقطع مشبعة بالشاعرية؛ فقد حملت تناصاً بتولياً (هُزي الجذوع)، وصوراً شعرية مبتكرة (خطاياهن تعثر، الشطات غصون الليل، يلجم الوزر فاها) فضلاً عن أناقة الطرح والأسلوب في أغلب الأبيات (الديوان: 255، 256):

مـا للأقاحيـةِ السـمراء واجمـةً ... تَحَمَّـدَ في أَلْحاظِهَـا الكَـدَرُ

هُـزي الجُـذُوعَ فـلا الأغصـانُ ذابلـةٌ ... ولا الإسـارُ في كَفَّيْـكِ تَنْصـهِرُ

يـا للضـياعِ الـذي يجتـاحُ أروقـةً ... أمسـتْ عليهـا خطَايَـاهُنَّ تعتَـذِرُ

الماشطاتُ غُصونَ الليلِ حِين دنتْ ... تِلْـكَ الغُصُـونِ ووجـهُ الليـلِ مُعتَكِـرُ

البائعـاتُ الهـوى بخسـاً لطالبـه ... ومـا لَهُـنَّ سِـوى الأعـرَاضِ مُـدَّخَرُ

يصـحو الضـميرُ بهـا حِينـاً فيرسُمُهـا ... بتُولَـةً لم يُـدَنِّس طُهرَهَـا بَشَـرُ

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وتعصِفُ الريحُ أحياناً بزورَقِها ... فَيُصبِحُ الطُّهرُ شَيئاً ما لَهُ أَثَرُ

الجُوعُ والأملُ الدامي وكيف لها ... أَنْ يُلجِمَ الوِزرُ فاها ثُمَّ لا تَزِرُ

سَرَتْ فاتنةُ الهوى السحريُّ هل بلغتْ ... بِكِ الليالي مَداها واختفى السَّحَرُ

لا زِلْتِ في عذري عذارةَ ما عبثَتْ ... بِكِ الخطايا ولم تُحنَكْ بِكِ السُّتُرُ

ويودع البغدادي قصيدته العظيمة بخاتمة رائعة، عبَّر فيها عن اعتزازه بها وعشقه العذري لها، واصفاً إياها بالقوية الفتية فلا ضعف يدب فيها ولا خوف يعتريها، رغم كل الجراحات والانكسارات التي تختزلها ذاتها؛ حيناً لتعلق على أحداث مرّاها من قسوة الألم، وحيناً آخر ملتمساً الأعذار لزلّاتها بحكمة هي غاية في التوصيف ودقة في (لا عيب في قدم زلّت بها حُفَرٌ، قد يؤثِرُ الدهرُ إنساناً بمحنَتِهِ) مختتماً القصيدة برشفة عشق من كأس أمل اختفاء بقايا الجرح الذي آخر ما تطاله يد المنون (الديوان: 260، 261):

عظيمةٌ أنتِ يا مرآةَ نظرتي ... ما تَلَوَّنَ في أحداقِكِ النظَرُ

قويةٌ أنتِ لا ضعفٌ يدبُّ إلى ... ولا خوفٌ ولا حَذَرُ

لا عيب في قدمٍ زلّت بها حُفَرٌ ... لكنما العيبُ أنْ راقتْ لها الحُفَرُ

قد يؤثِرُ الدهرُ إنساناً بمحنَتِهِ ... وكم يُغيبُ البَشَرُ

فَلْنحْتَفِلْ بهَوانا رَغمَ مِحنَتِنا ... فالحبُّ آخرُ ما تطالُهُ القَدَرُ

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1.2.2- المطلب الثاني: الاتجاه الديني والاجتماعي

متعددة هي غايات الأدب لكنَّ جميعها موجه لخدمة الإنسان بمختلف قضاياه، فمهما تعددت غايات الشعر واتجاهاته يظل الإنسان محوره، وقضايا ميدانه، والشعور بالذات والآخر منطلقه (زيدان، سليمان. 2009). فالبغدادي ابن بيئة محافظة، يشكل فيها الدين ثم العرف مظلة اجتماعية، يتفيأ الجميع بظلالها. لذلك نشأ عبد المولى نشأة دينية والفت بيته وبيئته في منظومة تمم بعضها بعضا، فهو ابن لشيخ حفظ القرآن وحرص أن ينتفع ابنه عطر الوحي في كتاب الله العزيز. فكان أن حفظ الابن القرآن الكريم في سن مبكرة بتشجيع والده، ليكون للقرآن بعدئذ أثر واضح في حياة الشاعر الاجتماعية والثقافية والشعرية على الوجه الأخص. لم ينفرد ديوان "على ضفاف نورس" بمقاصد دينية الغرض، لكنَّ النزعة الدينية حاضرة في شعره مبثوثة فيه. فحسب وزير الأوقاف الشيخ محمود زقزوق (2007) فإن شعر البغدادي مبرأ من شوائب الزُلفى والنفاق لأجل أطماع دنيوية بسموه إلى آفاق رحبة من الطُهر والصفاء الروحي. وتتجلى صور الورع في مواطن عدة من ديوانه سيما في مراثيه، وكذا الموت واعظا للمتفكّر والتَّدبر في الحياة والموت.

وفي رثائه لصديقه خالد السوكني؛ يستهل الشاعر في بداية القصيدة بتعداد الخصال الحميدة للفقيد، بصدق عاطفة وعمق مشاعر ورهافة أحاسيس. مصوراً المفاجأة التي بينه وبين الراحل. واصفاً الحادث الذي أودى بحياته، مُقراً بالعود لليقين الإلهي بقلوب حزينة ملؤها الخشوع والخضوع واليقين بحتمية الموت والقدر. فالغفلة العمياء لا ترد القضاء. متوجهاً في آخر النص إلى أهل الراحل بالدعاء لهم التعازي في عزيزه وإياهم متثاقلاً حزناً، من الخفيف (الديوان: 314، 316):

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ثم عُـــدنا إلى اليقـــينِ تِباعـــاً بقلـــوبٍ كســـيرةٍ خَاشِـــعاتِ

قَـــدَرٌ لا مَفَـــرَّ مِنـــهُ، وحُكـــمٌ أبـــديٌّ في ســـائرِ الكائنـــاتِ

وكـــذا نحـــن غـــافلونَ جميعـــاً وكـــأن القضـــاءَ لـــيس بـــآتِ

يـــا أَخَـــاءَهُ الـــذين تســـاقوا حُبَّـــهُ الأخـــويَّ عـــذب الســـماتِ

عظَّـــم اللهُ أجـــركم في عزيـــزٍ نـــال بـــالموت خـــيرَ مـــا في الحيـــاةِ

وخطاب الشاعر للمفارق نزار في الأبيات التالية مشهد دراماتيكي ساخن، صوَّره الكاتب على أنه بين الحاضرين لحادث أحدهما الآخر لا يدري ومميت. تقوم أحداث المشهد البغدادي على خطاب القاعد للقائم المتأهب للرحيل. يودع الأول الآخر عبارات ملؤها التفجع والحسرة على مفارقته. ثم ما يلبث أن يبث فيه روح التوق للرحيل فهو سينزل في حمى من فنعم الجوار ومرحى هي دار القرار. استطاع البغدادي أن يوجد لغة تعايش بين الاحساس بالفجيعة والإقرار بالفراق، وعلق الشجيا حين نفث نادباً مفارقه نزار (أيها الراحلُ المفارق مرحى). الأبيات تحمل معانٍ متعددة (الرحيل، مرحى الفراق، حمى الله، مؤئلا، جوار، الجهر بالخطايا، الوزر، جلّ، نشوى ذنوب، عابر، [illegible]، [illegible] الاعمار) عبارات وظّفها الشاعر للتعبير عن حالة التفكر والتدبر، مؤداها أن لا ملجأ من الله إلّا إليه [illegible] (البغدادي، 2011: 351) :

أَيُّهـــا الراحِـــلُ المُـــفارِقُ مرحـــى في حِمـــى اللهِ مَـــؤئلاً وجـــوارا

إنْ تَكُنْ قد جهرتَ فالناسُ حمقى لا يُريـــدُونَ للهـــوى إجهـــارا

لـــــكَ وزرٌ وللمُعاتـــــبِ وزرٌ جَـــلَّ مـــن لا يُقـــارفُ الأوزارا

كُلُّنـــا يـــا (نـــزارُ) نشـــوى ذُنـــوبٍ نحتســـيها ونَكْـــتُمُ الأســـرارا

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

كُلُّنـــا عَـــابِرٌ نـــروحُ ونَغـــدُو في سُـــباتٍ ونحـــرِقُ الأَعمـــارا

ومما لا شك فيه أن رسالة الشاعر لا تقتصر على النقد أو ترجمة الذات والواقع، بل تتعدى إلى التوعية والإرشاد. فالشعر رسالة يؤديها الشاعر لمجتمعه مجسداً أفكارها من إنسانيته. فمن أدوار الشاعر أن يكون دليلاً اجتماعياً يهدي أبناء مجتمعه إلى ما يفيدهم، كحثهم على طلب العلم والدعوة له بإلحاح، مثلما فعل البغدادي في مقطع من مجزوء الرمل (الديوان: 361):

إجعَلُـــوا العِلـــمَ عِبـــادةْ وســـبيلاً للســـعادَةْ

إنمـــا الـــدنيا شـــبابٌ وكتـــابٌ وإرادَةْ

إجعَلُـــوا العِلـــمَ إمامـــاً وصـــلاةً وصـــياما

واطلبـــوهُ تُرضُـــوا بـــهِ اللهَ حجّـــا وقيامـــا

إن مَـــن يجهـــلُ عِلمـــاً مثـــلُ مَـــن يصـــلي وصـــاما

نـــاقصُ الـــدينِ وفـــي ديـــاجيهِ مَـــن يقلـــبُ الإرادةْ

وللبغدادي في غير ديوانه "على جنبات بورس" قصيدة ديميه العارض والاتجاه، ترسَّم فيها بردة البوصيري. عنوانها الشطر الأول من افتتاحيتها: "مولاي عبدك بين اليأس والأمل" بلغت أبياتها 233 بيتاً. القصيدة جامعة؛ احتوت على كثير من الصور البلاغية والمعاني الدينية والأدبية، وركزت على مضامين متعددة، كالتبتل ومناجاة الخالق عز وجل، والمديح النبوي والتعلق بالمبعوث رحمة للعالمين – صلى الله عليه وسلم –. ولم ينسَ الشاعر أن يضمّن القصيدة معالجات الجوانب الدنيوية والإنسانية كالأمثال والحكم والأساليب الراقية التي تسمو بالإنسان إلى عالم يتلاءم والمكانة التي أرادها الله له (ولد أعمر، أيوه 2010).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويصف القصيدة أمين اللجنة الشعبية للهيئة العامة للأوقاف بليبيا سابقا، محمد بشير مروان (2005) بأنها: "لون جديد من ألوان الشعر الديني يتمثل الواقع المحسوس ويترسم الجوانب الإيجابية، بعيداً عن الاتكال إلى السلبيات والمبالغات التي لا لزوم لها ولا مصداقية لذكرها" (البغدادي، عبد المولى. 2005: 4). استهل الشاعر قصيدته بالافتتاحية التقليدية بحمد الله عز وجل، والثناء عليه، والإقرار بوحدانيته، مناجياً ومهللاً من البسيط (البغدادي. 2005: 9، 10):

مولاي عبدُك بين اليأسِ والأملِ ... يا خيرَ مولى لعبدٍ حائرِ السُبلِ

والحمد لله مولاي الذي خلقتْ ... به عُبُوديتي منْ سابقِ الأزلِ

مُصَلّياً بصلاة اللهِ واصلةً ... موصُلَةً بشفيعي أَشرَفِ الرُسُلِ

واستمِدُّ الرضا منهُ لأُمنيتي ... لعلها خيرُ آمالي ومُحتفلي

والمستعينُ بعون الله مُعتصِماً ... وبالرسلِ لا يخشى من الفشلِ

إني تباشرتُ واستبشرتُ بشقتي ... من حالكِ اليأسِ أعراسٌ من الأملِ

وانْهَلَّ فيضٌ من البُشرى يغمرُني ... ما أجملَ الوصلَ والقُربى لمنفصلِ

يا مُرشدي (لمديحِ أستقيلُ به ... ربُ عمري) في اللهو والغزلِ

وهي مُعَقبة البغدادي لبردة البوصيري نتيجة تعلقه بها منذ طفولته. وكما يشير محمد مروان: "أنه حفظها مع أوائل سور القرآن الكريم في كتاب جامع بيت المال بشط الهنشير، ضمن مجموعة الأطفال، وكان ذلك خلال أوائل الأربعينيات من القرن الماضي، كان ينشدها ويتغنى بها في المناسبات الدينية والاجتماعية" (البغدادي. 2005: 4) وهو ما عبّر عنه الشاعر في قصيدته (البغدادي. 2005: 12):

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

لـو أنهـم جربـوا سـحرَ الهـوى، ونهـوا عمن يحبونَ ما انساقوا إلى الخطلِ

لعلهـــا هفـــوةٌ بيضـــاءُ عـــابرةٌ أو غـيرةُ الحـبِّ جرتهُمْ إلى العـذل

وقالـــوا وهـــو يـــدري أن بردَتَـــهُ ستســتفِزُّ خفايـا أنفـسٍ خمـلِ

(يـا [illegible] في الهوى العذري معذرةً مـني إليـك ولـو أنصـفتَ لم تلـمِ)

ويختتم البغدادي لاميته بالتضرع إلى الله عز وجل؛ طالباً العفو والمغفرة، ملتمساً حلمه ورحمته التي بشر بها المولى تعالى بعض عباده الذين لم يكبحوا جماح أنفسهم واتبعوا الشهوات، وغرتهم الحياة الدنيا، وأصابهم الندم على ما فرطوا فيه، معبراً عن ذلك بأسلوب رقيق، وقلب خاشع، بقوله:

مـولاي مـولاي: لـفـوٌّ بتسـ[illegible] وكيـف لا وأنـا عبـدٌ لخـيرِ ولي

مـولاي لُطفَـكَ بي مـولاي جاهَـكَ بي مـولاي رِفقَـكَ بي مـولاي عِتقَـكَ لي

مـولاي صفحَك عـ[illegible]ل بعتقِكَ لـ[illegible] مـولاي عفـوَكَ عـني قبـل قبضِـك لي

مـــولاي مـــولاي إني عائـ[illegible]ـرٌ إلى [illegible]بـابـك فـــاغمرني بحبِّـــك لي

وهـونِ الخطـبَ عـني إن دنـا [illegible] مـولاي واجعـل جـوارَ المصـطفى نُـزُلي

وباعـدِ السـوءَ والأهـوالَ عـن وطـني [illegible] النفسِ من أملِ

مـولاي مـولى رسـول اللهِ صـلِّ علـى [illegible] وَصِـلِ

وآلِ بيـتِ رسـولِ اللهِ مَـنْ صـدقوا وأنـزَلَ اللهُ فـيهِمْ وَحْيَـهُ [illegible]

لا تحرِمُـــوني عِبَـــادَ اللهِ دعـــوَتَكُمْ فـإنني عبـدُ مـولَى خَـاتِمِ الرُّسُـلِ

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وإلى جانب الاتجاه الديني وجد الاتجاه الاجتماعي في ديوان عبد المولى. حيث الإنسان كائن اجتماعي؛ لا يتعايش إلّا مع جنسه وما تحويه الطبيعة من قبح وجمال، في حركة وسكون. فهو أساس الفن في مجمله، والشعر أقرب الفنون الأدبية منه وأبلغها تأثيراً فيه. لذلك يولي الشعراء اهتماماً كبيراً للقضايا الإنسانية؛ لا سيما الاجتماعية، كونها تمس مكونات المجتمع التي ينطلق منها التأثير في القضايا الأخرى. فأي خلل في الجانب الاجتماعي يؤثر سلباً على باقي الجوانب. لهذا يسعى الشعراء لمعالجة قضايا المجتمع من خلال مخاطبة السمع والبصر والعقل، وهي ميزة الشعر عمّا عداه، الأمر الذي يجعله معبراً بأكثر شمولية في النفس الإنسانية (العشماوي، محمد، 1980،).

ولأن الشاعر لسان مجتمعه؛ فقد تحسس الصدادي قضايا مجتمعه واقعاً فعالجها شعرا. ولم يكن عالمه الاجتماعي محصوراً في رقعة جغرافية أو مشيخاً بسياق مكاني أو زماني، بل امتد ليشمل الإنسان والطبيعة بوجه عام، محطماً أسوار الجغرافيا ومتجرداً من الزمن. فكان الحزن والأسى مع الآخرين وعبّر عن قضايا الإنسان بذاتية وواقعية. ففي مرثيته التي يرثي بها السويد (1999م) على ما رُثي به نزار قباني، يخرج بالقصيدة من أَسر الرثاء التقليدي حتى لا تكون مجرد حكائية "جنائزية" لتحيا مفعمة بالحب وصدق العواطف "بكيناهُ قاتلاً وقتيلا" (الديوان: 347):

انْفُثي يا عواصِفَ الشعرِ نارا ... وانْدُبينا فقد فقدنا نزارا

أمطرينا قصائداً من لهيبٍ ... صَارخَاتٍ تُفَتِّتُ الأحجارا

واسكُبي مِنْ حرائقِ الشمسِ وَهْجاً ... عبقريًّا يُفَجِّرُ الأشعارا

ومِنَ الظُّلْمَةِ المريعَةِ صُبْحاً ... ومِنَ الظلم ثورَةً وانفجارا

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

جعل البغدادي من مرثيته السابقة موازنات بين شخصية المَرثي وشخصيات شاعرة معروفة في التراث، واصف بأبي الشعر في تفضيل على الشعراء عبر العصور، فاختار شخصيتي لبيد (الجاهلي) ومهيار الديلمي (العباسي) إشارة إلى أفضل عصور الشعر العربي، وهما الجاهلي والعباسي من وجهة نظره. لكنه يقع في ارتباك حين يقر بأنه ليس في مستوى شاعرية قيس وبشار، لينكر الشعر عليهما وعلى باقي الشعراء في كل العصور، بعد بيتين أثنين (لمن الشعر بعد نزار) ويقرّه في موضع آخر من القصيدة لنزار والمتنبي، اللذان كان الشعر سبب وجودهما حسب رأيه (الديوان: 347، 348):

يا أبا الشعرِ كيف أرثيكَ شِعْراً ... لَستُ "قَيساً" أنا ولا"بَشّارا"

أيّ شِعرٍ تراهُ يُسعِفُ وفاءً ... مِثلَما كُنتَ للوفاءِ شِعَارا

زُلزِلَت قِمّةٌ وقلّت قِلالٌ ... وبَقِينا الطُّلُولَ والآثارا

لِمَنْ الشعرُ بعدَ فقدِ نِزارٍ ... لا "لبيدٌ" أرى ولا "مِهيارا

لا علينا إذا بكتنا الليالي ... بعدَ مَن غَابَ نَجمُها وتوارى

ويمضي البغدادي في جو القصيدة، المفعم بالحب الإنساني الساحر، مادحاً مُرثيهُ معدداً مناقبه وكأن القصيدة في مدح سلطان، لا في رثاء غائب لا سلطان له، محكماً الشعر حتى شاعراً مع شاعر آخر فرّقت بينهما قروناً من الزمن، فجمعهما الشعر ليكون سبباً لوجودهما، في تناصٍ واضح قصد به الشاعر حميمية الشاعرية ومجدها بينهما (الديوان: 352):

(ثانِيَ اثْنَيْنِ: أنتَ والمتنبي) ... طِبتُمَا صُحْبَةً ومجداً وغارا

وَشَغَلْتَ الورى ونِمْتَ قَرِيراً ... آمِناً مِثْلَهُ تَنِيهُ افتخارا

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

لقد سيطر الحزن واللوعة على كلمات الأبيات السابقة ومعانيها، من خلال توظيف الشاعر لألفاظ ذات مدلول مأساوي (انفثي، عواصف، نار، اندبينا، لهيب، حرائق الشمس، وهج، الظلمة، الظلم، زلزلت، دكت، الطلول، الآثار، فقدُ، غاب)، كلها كلمات تقطر معانيها حزناً وغمًّا، وتظهر توحد المشاعر الإنسانية في مثل هذه الحالات وهنا مشاعر الشاعر الليبي (زيدان. 2009).

ولعل الاغتراب أحد القضايا الإنسانية التي يعاني منها الأفراد، وأهم شواهد الحزن وأكبرها؛ فيه الأرق والقلق ومعه الترقب والانتظار لعلم تمل وفك كرب. فهذا عبد المولى تنهشه الغربة فتدمي شعوره وتبث الرعب في أرجاء جسده فيبعث آهاته في قصيدته "الإحساس بالفجيعة" من الخفيف معالجاً من خلالها مأساة الاغتراب عند المسلم، متحداً في تجربته وشعوره مع الآخرين معبراً عن ذلك بدفقة شعرية لامست قضية من قضايا المجتمع (الديوان: 2012):

آهٍ مـــن غُـــربتي التي تقهرني ... وتُذيب الأسى وأدمـــتْ شُـعوري

كُلمـــا بثَّـــتِ العواصِـــفُ رُعبًـــا ... تـــزرع الويلاتُـــهُ في غـــديري

أَرقـــبُ الغيـــبَ في مؤشـــرِ ضياعٍ ... عربـــيٍّ في أَمـــنِـــي وزفـــيري

تـــتردى مشـــاعِري بـــين خَـــوفٍ ... ينفُـــثُ اليـــأسَ في رجـــاءٍ يســـيرِ

مؤلمة هي الغربة، لكن أعيادها أشدُّ إيلاما – لا سيما الدينية التي تعظم معانيها ومكانتها الاجتماعية؛ فتأتي على الغريب مثخنة بآهات الفراق، نازفة بلواعج الشوق تحرث الجدب في الحشا. فالغريب حين يعيش غربة العيد واقعاً لا خيالا، يتحسس بون المسافات بين الذات وحنينها إلى بعضها هناك. ولسان الحال يردد قول شوقي: وطني لو شغلت بالخلد عنه...نازعتني إليه في الخلد نفسي. وجدانيات البغدادي ونوازعه في الغربة تلاقح بين الذات والآخر وتواصل الغائب بالحاضر، وما قصيدته "عيد الغربة" إلّا مثالاً صريحاً على

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

حميمية التواصل بين تجربته الواقعية وتجارب الآخرين. فيها يتوحد مع الموضوع ليستنطق ألسنة الآخرين، وكأنه يعيش بمشاعرهم أحاسيس غيره. فحرك في داليته الجمود جاعلاً من العيد كائناً حياً يتفاعل معه، من الخفيف (الديوان: 185):

يَـذكُرُ العيـدُ أنَّـهُ كـان عيـدا ... باسِمـاً عـاطِرَ التهـاني سـعيدا

مـا لـهُ الآنَ كاسِفُ الوجـهِ مِثلـي ... لـيس عيـداً وبهجـةً، بـل وعيـدا

أيُّ عيـدٍ وبهجـةٍ للغريـبِ ... يلتقـي عِيـدَهُ السـعيدَ وحيـدا

يا لحـزنِ الغريـبِ والليـلُ قـاسٍ ... يُضـمِرُ الهَجـرَ والجَفَـى والصُّـدُودا

كُنـتُ الطفـلَ الحَسَـنَ العيـشِ يُشـرِي ... لأُلاقِـي بهـا الصـباحَ الجديـدا

غـيرَ أنِّي لقِيتُـهُ اليـومَ حـزنـاً ... وسُـكُوناً مُروَّعـاً وجُمُـودا

ومن الرسائل الاجتماعية التي وجهها عبد المولى إلى الشعراء وقُرّاء الشعر رسالة الثورة على موسيقى الشعر الخليلية. التي بدأها مستأذناً الخليل على سبيل عادة الثائر؛ لأنها ثورة الابن على أبيه! وإنْ يكُنْ فمَن بايَنَ أباه فما هَضَم. لقد حلّق الشاعر على جناح ثورته في رحلة البحث عن فضاءٍ طلق ليس فيه للقيود سلطان، وربما كانت فكرته الثورية تتعدى قوالب الشعر إلى تغيير الكون لجميع مظاهر التسلط، معبراً عن تطلعه الثوري بترنيمة حرة، من الرجز (الديوان: 175):

هَلْ يسمحُ الخليلُ أَنْ أثورَ مرةً على

أَطلالِ بيتِهِ القديمْ

أعيشُ لحظةً واحدةً

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مُحلِّقاً على جناحِ نورسٍ طليقْ

يبحثُ عَنْ إشراقةٍ ورديةٍ مِنَ الأمَلْ

ويرفُضُ التغريدَ في الشرَانِقِ المُعَلبَهْ

ولو مِنَ الحَريرْ

لأَنَّ ذاكَ النورس الصغيرْ، لا يعرفُ القيودْ

وشرطةَ المرورِ في الحُدُودْ

ويعشَقُ التيارَ والإبحارْ

مُخَلِّفاً وَرَاءَ حُلْمِهِ الجميلْ: مُعَسكرَ الخليلْ

وما فتئ النورس الجامح أن قطع الرحلة الشوبة، ليعود ادراجه غير مكره إلى بيت أبيه الخليل فهو عنده أحمدُ. فقد وأد البغدادي انتفاضته على الشعر التقليدي بطواعيته ذوقه لا بسلطان الخنوع، في إقرار منه على أن المعسكر الخليلي ملجأ الشعراء ومأمن المبدعين. ولعل رسالته لم تكن تهدف الشعراء المحلقين في فضاء الشعر وأشكاله فحسب. بل امتدت لتصوير ما يعانيه المواطن العربي الباحث عن حريته المسلوبة، وكرامته المؤودة (الديوان: 77):

أَلْتَمِسُ الأمانَ والغفرانْ

الطاعةُ العمياءُ للسلطانِ مهما كانْ

وعدتُ غيرَ مُكرهٍ إلى مُعسْكرِ الخليلْ

أُمارِسُ العزفَ على أنغامِ سيدي مولاي

أَبْحَثُ عن سِلسِلةٍ أَضَعُها في عُنقي

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أَبحَثُ عَنْ لافِتَةٍ حمراءَ حولَ الطُرُقِ

نُوجِّهُ التيارَ والمسارَ حَسْبَمَا تشَاءْ

لأَنني يا إِخْوتي نَشَأْتُ في مستنقَعٍ لا يعرفُ الهواء

وعَتْمَةٍ لا تعرفُ الضياءْ!

1.2.3- المطلب الثالث: الاتجاه السياسي والقومي

فرضت القضايا السياسية نفسها على الساحة الشعرية منذ بدايات الأدب. يقول أحمد عطية (1974: 22): "أنْ يقدم الأدب والفن أعمالاً واقعية وسياسية أمر ضروري، لأن السياسة جزء أساسي من الواقع" فما ينقله التاريخ ويؤكده؛ أن جُلَّ القضايا الإنسانية وأثرها إيلاما تعود إلى عوامل سياسية كالغزو والاحتلال والهيمنة والاستبداد، فتنشر المآسي في المجتمع مما يؤرق الحياة الإنسانية، الأمر الذي يدفع الشعراء لتصوير الواقع بألوانه القاتمة والتحريض على إيجاد واقع أفضل. تناول الشعراء الليبيون منذ بداية الحركة الشعرية في ليبيا؛ قضية السياسة التي تمس الجميع، كالحرية والعالمية، الوطن في حقبة حكم الأتراك، والاحتلال الغربي. فتعددت اتجاهات الشعراء في هذا المضمار حيث نجد أكثر من اتجاه وتواجدوا في أكثر من ساحة (زيدان. 2006).

كانت الحرية في معناها الواسع هاجس عبد المولى في أغلب قصائده. فهو رافض متحدٍ معانق اللاقيود متمرد على الواقع. فالكل يعي أن النسور تطير لا تسبح، لكنَّ النسور الليبية قد لها أن تُمنع من الطيران، بحكم قرار ألبسه الأقوياء الجبابرة رداء الشرعية الدولية تمثل في الحصار الجوي على ليبيا سنة 1992

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

(السويح. 1999). فجعل البغدادي ذلك في قصيدته "عندما تسبح النسور"! سابحة مبحرة إلى حيث تشاء، متحللة القرارات لأنها تعشق الحرية. فجاءت القصيدة لوحة فنية تأملية زاخرة بالشاعرية، فيها محاكاة للطبيعة التي أنست النسر السابح أثناء رحلته من طرابلس إلى جزيرة مالطا في تغريدة حب وتحدٍ، من البسيط (الديوان: 179):

في قلعةٍ مـن قلاعِ البحـرِ غافيـةٍ ... في حُضنِهِ تتمطَّى بين أَذرُعِهِ

يُداعِبُ الشَّفقُ الفضِّيُّ هامَتَها ... يَحنُو عليها، ويَسقيها بأَدمُعِهِ

تزوَّجتْ لا اقتضاني عندما عشقتْ ... فتىً يُقيمُ هَوَاها بين أَضلُعِهِ

أَلقيتُ نفسي بها لا أبتغي لَعِباً ... كسابحِ الطيرِ لم يظفرْ بموضِعِهِ

فالنسرُ يُبحِرُ إنْ سُرِقتْ مسالكُهُ ... عَنِ السماءِ، ولا يبقى بمَخدَعِهِ

هكذا السياسة، محرك قوي يثير مشاعر الإنسانية، لا سيما إذا مست كبرياء الوطن. وهكذا تحركت عواطف وأحاسيس البغدادي أثناء مشاركته بندوة أمريكا في الأمم المتحدة "مادلين أولبرايت" وهي تطعن بسبابتها مراراً أحلام الشعوب وكبريائها وتصافح بسخاء "الفيتو" تأييداً لإسرائيل في مصادرة أراض عربية بالقدس، وتجاهلاً للحق الفلسطيني. فيصرخ زاجراً الضمير الحي مندداً من الواقع المهزوم للأبواق العربية الخانعة؛ الداعية للتصالح مع إسرائيل، مستهزئاً في قصيدته "بصقت ندوة أمريكا" من المتدارك (الديوان: 119، 120):

بصقتْ مندوبةُ أَمريكا

في وجهِ سَماسِرةِ الحَلِّ السِّلمِي

لِتُجَرِّبَ لونَ طبيعَتِهِمْ بَعدَ التطبيعْ

وتُغيِّرُ وضعِ برانِسِهِمْ وقلانِسِهِمْ بعد التركيعْ

كانوا بِالأمسِ وجَاهَاتٍ، وَزَعَامَاتٍ،

وقوىً عُظمى في نشرَةِ أَخبَارِ المالْ!

هَتكَتْ مندوبةُ أَمريكا وبأُصْبُعِهَا

أَعراضَ ذويهَا في بيتِ الصُّلحِ المنْهَارْ

تُعِيدَ طِلاءَ أَظَافِرِها بِفَخَاماتٍ

وجَلَالَاتٍ شَتَّى!

تُقِيمَ لَهُمْ نُصباً أَسْمَى

وَتَخُطَّ بِأُصْبُعِهَا الصُّغْرى

كَلِماتٍ ليس لها مَعنى

كَضياعِ العُرضِ وفَقْدِ الرَّخْصْ!

جمة هي المواقف السياسية التي تثير حفيظة الشعراء الوطنيون المحررون من سلطان الخوف والتبعية. والبغدادي من هؤلاء، فهو شاعر القضية، شاعر [illegible] شاعر الكلمة الهادفة، يتحدث للجموع ولاياجي الفراغ، جرَّدَ لسانه للذود عن قضايا الإنسانية، قضايا الوطن. [illegible] كاريكاتورية أخرى ليهديها للحكومات العربية الساعية وراء سراب السلام مع إسرائيل، في ليلة سقوط مهديهم المنتظر بطل قانا (بيريز) عن الفوز بالانتخابات وفوز منافسه نتنياهو الوجه الآخر للشر. عبَّرَ عبد المولى عن امتعاضه من حال الخنوع التي عليها الحكومات العربية وسعيها وراء التطبيع مع إسرائيل، معزياً أنصار بيريز العرب ساخراً منهم في مقطعيته النونية من مجزوء الوافر (الديوان: 133، 134):

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أُعـــزي فيـــكَ يـــا بيريـــزُ أنصّـــاراً وأعوانـــا

وأحبابـــاً وجيرانـــاً وَأشـــيَاخاً ورُهبَانـــا

لأنـــكَ خَـــيرُ مَـــنْ أَهـــدى إلى الأطفـــالِ في "قَانـــا"

عناقيـــداً مســـليةً وتُفاحـــاً ورُمانـــا

وأنـــكَ خـــيرُ مـــن صـــلى علـــى أَشـــلاءِ قتلانـــا

أعـــزي فيـــكَ يـــا بيريـــزُ قادتنـــا وقِمتَنَـــا

ونُســـاكاً [illegible] جعلنـــاهُم أَئِمتَنَـــا

وأقطابـــاً وكُتّـــاباً منَحنـــاهُم ريادَتَنـــا

فإنـــكَ إنَّمـــا السّـــلمِ قـــد أَنهيـــتَ أَزمَتَنَـــا

وأنـــا خَـــيرُ مَـــن وَلّيـــ يا بيريـــزُ عِصـــمَتَنَا

وأَنَّـــكَ خـــيرُ مَـــن يغتـــال في كُتـــبِ تاريخِ أُمَّتَنَـــا

إن الوطن العربي جُرحٌ لا يندمل، كلما طاب بعضه تقرّح بعضه، ولعلّ المصاب الأكبر في اغتصاب أَجزاء من أَراضيه والمناورة المستمرة على اغتصاب أجزاء أخرى. فلسطين الجرح الذي همُّ كل عربي شريف ومسلم غيور، وأنشودة متجددة كتب ويكتب عنها الكثيرون. عشقت أقلامها أقلام العشاق. وهكذا اجتمع شرف الموضوع والقصيدة عند البغدادي حينما تغنى بالوطن والقومية في خصوصية وعموم. فهو شاعر وطني غيور، قومي المذهب، شكل الوطن والقومية عضوان في جسده، إذا أشتكى أحدهما تداعى له الآخر. فله قصائد كثيرة في هذا المضمار. ولعلّ قصيدة "أطفال ورحال" الثلاثية الابعاد "السياسة، الوطن، القومية"؛ لهي من

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

النصوص النابضة بروح الانتفاضة الفلسطينية التي قدَّم من خلالها إسهاماً فنياً ناجحاً ومعالجة شعرية جيدة، قارن في مقطعها الأول بين أطفال النضال وتخاذل الرجال. وحمل مقطعها الثاني فكرة ذات إطار فني جميل جعل الحديث فيه يجري على لسان طفلة لم تبلغ الفطام، تكتب مذكراتها رافضة لعالم الكبار ثياب الجبن والخيانة. ابتعد عبد المولى في هذا المقطع عن ضمير المتكلم، لأنه جزءٌ من عالم الكبار الذين تتحدث عنهم طفلة الانتفاضة، من الرجز (الديوان. ص: 113):

أطفَالُنا أكثرُنَا رُجُولَة

طفولتنا لم نَبْرَح الطُفُولَهْ

تنطلِقُ الحجارةُ مِنْ صُدُورِهم قَنَابِلا

فَتَنْسِفُ الأحجارُ أكُفَّهمْ مَعَاقِلا

ويُصبِحُ الرضِيعُ — مِثْلُنَا — مُقَاتِلا

نحنُ ورَاءَ خلفِ السُّتُورِ نَرْضَعُ

كأننا نَحْنُ الجوارِحُ في مَدَى الحَرَمْ

ونَعْشَقُ الموالَ والقِسِي

ونَحْتَسِي خَمرَ الهوى وعَبَقَ

بأنفُسٍ هزيلةٍ، مُزِلَّهْ

وأعْيُنٍ ذَليلةٍ، ذليلَهْ

وعندما سقط لبنان في أتون حربه الأهلية التي دامت نازفة خلال العقد الثامن من القرن الماضي، كان الشاعر عبد المولى يعيش في الحبشة. فتفاعلت ذاته المفعمة بحب الوطن، المجبولة على تحسس جراحاته كعادتها مع

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الحدث معبرة عن مأساتها اللبنانية معلنة حملها وزر هدم لبنان في بداية "جراحات لبنان" من الخفيف (الديوان: 85):

صرخةٌ لبنانَ قد تهدمَ باسْمي	لا تُدينوا بهدمِهِ أيَّ خَصْمِ
أنني خطَّمتُهُ ولم أَكُ أَدري	أَنَّ أنقاضَه دمائي ولحمي
سكنتْ فيَّ ومات شُعوري	وانتهتْ قِصتي نهاية شُؤمِ
واقعي في زوابعٍ مُهلِكاتٌ	زلزلَتْ صبري العنيدَ وعزمي
جُرحُ لبنانَ قد أصابَ كياني	فهو في قلبي المضَرَّجِ يُدمي
فأنا الخصمُ والمدافعُ عنها	وكِلا الجانبين أَهلي وقومي
والضحايا فواجعٌ ماثلاتٌ	خلَّفتْ في الدروبِ أَشباح يُتمِ

هكذا عجت أَبيات البغدادي الوطنية في معزوفة وطن. الوطن في كل اتجاهاته، في وجدانياته وطن، في غزله وطن، في مراثيه وطن، في وطنياته وطن. الوطن سريانه النفس، وعشقه والتحام ذاته بالمحبوب وفناء فيه. وقصائده الوطنية نورسٌ ليبيٌ طالت غربته عن وطنه، لكنه حاضر في وجدانه لا يبارح لحنه ونحبه يتغناه في كل مقامٍ ومقال. فالوطن والقومية عنده وجهان لحقيقة واحدة هي ذاته العاشقة في الخيال وواقعه الدامي الذي يحمله أَنَّى ولَّى وجهه. وعبد المولى البغدادي وطني، وقومي مُكثر في نظم ديوانه من عشرة قصيدة انفردت في شعر الوطن والقومية، ولم تخلُ باقي قصائد الديوان من الوطن والقومية التي كانت قضية مُلحة في شعره.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1.3- المبحث الثالث: أثار البغدادي ومنزلته بين أقرانه

مفهوم الأثر: الأَثَر بقية الشيء. تجمع آثار وأُثور. خرجت في إِثْره وفي أَثَره أَي بعده، وأْتَثَرْتُه وتَأَثَّرْته تتبعت أَثره. والأَثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء. والتأْثير إِبْقاءُ الأَثر في الشيء. وأَثَّرَ في الشيء ترك فيه أَثراً والآثارُ الأَعْلام. والأَثَر الخبر والجمع آثار. وفي قوله عز وجل: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَآثَارَهُمْ﴾ [سورة: يس، من الآية 12] أَي نكتب ما أَسلفوا من أَعمالهم. وسنن النبي صلى الله عليه وسلم آثاره. والأَثْرُ مصدر قولك أَثَرْتُ الحديثَ أَثُرُه إِذا ذكرته عن غيرك. وأَثَرَ الحديثَ عن القوم أَنبأَهم بما سُبِقُوا فيه من الأَثَر وقيل حدّث به عنهم في آثارهم (لسان العرب، أثر).

يُعد البغدادي عبد المولى من الأقلام المشرقة في الأدب العربي. فهو إلى جانب موهبة الشعر ذا علم ومعرفة، متخصص في علوم اللغة، متمكن من آدابها وله آثاره الأدبية والشعرية التي أهلته أن يكون ضمن كوكبة من رواد الأدب والشعر العربي، فهو الناقد الناقد، والأديب الحاذق بالأدب وفنونه، والباحث المتبصر، والشاعر العال الشاعرية الذي يكتب بنفسه وعقله وإحساسه وصوته تخترق الحُجب وتحتضن القلوب، وهو المؤمن بأن الشعر رسالة تصحيح وتغيير من أجل الانسان وبلوغ آفاق الحرية، ففي تأليف خلّاق سبقه سموّ الذهن والروح أودع عبد المولى خزائن المعرفة مأثوره النثري والشعري ليتبوأ بها أرفع المراتب وأسماها بين أقرانه من الكُتاب والشعراء. ويناقش هذا المبحث آثار البغدادي ومنزلته في ثلاثة مطالب؛ الأول نتاجه الأدبي والشعري. أما الثاني فتتبع روافد الشاعر وتأثره بأقرانه. فيما كرس الثالث للآراء النقدية حول شعره.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1.3.1- المطلب الأول: نتاج البغدادي الأدبي والشعري

جاءت مؤلفات عبد المولى البغدادي قليلة الكم لا سيما في النثر. لكنها في عمومها – النثر والشعر– تبوأت مكاناً علياً، وحظيت بالرفعة والسمو عند قُرائها ومتتبعيها. وإذ كان عبد المولى مُقل التأليف في النثر. فإنه غير ذلك في الشعر، فله الكثير من القصائد المنشورة في المنتديات الأدبية، من غير قصائد الديوان. وله قصائد ألقى بها السمع في منتديات الشعر، وعلى مسارحه، وفي محافله عند إحيائه أمسيات شعرية كثيرة في بلاده ليبيا، وفي بعض البلاد العربية مثل: مصر، والكويت، والأمارات، وغيرها من البلاد العربية وغير العربية كالحبشة، ومالطا، وبريطانيا، وغيرها (جحلان، محمد. 2007) وإلى جانب ذلك له الوافر من الأشعار التي لم تُنشر، ولازالت رهينة قراطيسه المبعثرة، وبعضها حبيس ذاكرته. ويرجح الباحث سبب عدم انتشار مؤلفات البغدادي بصورة أوسع؛ عائد للشاعر نفسه، فانشغاله بالعمل في بداية مشواره الأدبي والعلمي، وسفره الدؤوب إلى خارج البلاد، ثم تقدمه في العمر إضافة إلى طبيعة الجامحة التي ترفض السكون الذي يطمئن إليه المؤلف لنشر مؤلَفاته. كل ذلك قلل من انتشار أشعاره التي لم تنل حظها من الطباعة الوافر، فلم تر نور الانتشار الواسع. ومع ذلك فقد استطاع الأديب الكاتب والشاعر البغدادي أن يسهم في إثراء المكتبة الأدبية المحلية والأقليمية بنتاج أدبي أودع فيه بصمته لعُشاق القلم، والكلم، بعض ما ألّفه في مجالي النثر والشعر حتى هذه الدراسة. فجاءت مؤلفاته على النحو التالي:

أولاً: رسائله الجامعية

– رسالة ماجستير في جامعة الأزهر كلية الآداب 1968. دراسة عن أحد رواد الشعر الليبي الشاعر أحمد رفيق المهدوي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

- أطروحة الدكتوراه في جامعة الأزهر كلية الآداب 1971. "الشعر الليبي الحديث: مذاهبه وأهدافه". تتبع فيها نمو الشعر الليبي، وتياراته منذ مرحلته التقليدية المبكرة، حتى مراحله الأكثر تطوراً في ستينيات القرن الماضي. - وتعد أطروحتا عبد المولى عن أحمد رفيق, والشعر الليبي الحديث، مرجعان فيهما قدر غير يسير من الفائدة الأدبية، والمعلوماتية، والتوثيقية للقراء والنقاد والمهتمين بحركة الشعر الليبي، ومدارسه واتجاهاته.

ثانيًا: الشعر

- ديوان "على جناح نورس": ديوان شعري مطبوع بدار الكتاب الجديد المتحدة 1999، ط1. قدمه وعلق عليه الأديب سعدون السويح بإضاءات نقدية، كانت في صياغتها درر نثرية توشح بها الديوان وازدان. ولقد ضم هذا الديوان إحدى وأربعين قصيدة بين العمودي والحر مع علو كعب القصيدة العمودية. فيما تقارب صفحات الديوان الأربعمائة صفحة، وجاء هذا الديوان نتاج لما يربو عن عقدين من الزمن. وليست القصائد المودعة في الديوان هي كل شعر عبد المولى، فهناك قصائد قديمة لا تظهر فيه، وهناك أُخرى اشتهرت عند أصدقاء الشاعر تمثل أسلوبه الساخر والمراحل الذي عُرف به طويلاً لم تُدرج في هذه المجموعة (صالح، عبد الرحمن. 2007). وهناك أيضاً قصائد جديدة نظمها الشاعر بعد طباعة الديوان وهي ليست بالعدد القليل. كما إن أغراض عبد المولى، ومعانيه متعددة في هذا الديوان لتكون أعذب الشعر.

- "بكائيات على مقام العشق النزاري" (1998) وهي بانوراما شعرية لخصت مسيرة شعرية كاملة للشاعر الراحل نزار قباني امتزجت فيها لواعج الحزن واللوعة لفقدان الشاعر، وقد أختار عبد المولى البغدادي لهذه المرثية الطويلة عنواناً متميزاً يستحضر بين طياته روح الشاعر نزار قباني بكائيات على مقام العشق النزاري. وقد تعرض لتحليل نصها "عبد الإله الصائغ" بالاشتراك مع "سعدون السويح". وقد طبعت في مكتبة طرابلس العالمية طرابلس، ليبيا.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

- "مولايا عبدك بين اليأس والأمل" معارضة لبردة البوصيري صدرت عن دار الفكر العربي، 2005. ضمت القصيدة مائتين وثلاثة وثلاثين بيتاً. تطرق الشاعر إلى موضوعات عديدة، فمدح النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن أوضاع الأمة الإسلامية وهمومها، مستنهضاً عزائم الرجال. كما تحدث عن أحوال المجتمع والشباب والعودة إلى الله.

- "من عليه الرهان بعد العراق": قصيدة ألّفها البغدادي بعد اجتياح العراق 2003 يحكي فيها قصة أمة أُذيت من نفسها قبل الأجنبي الطامع. تناول بعض أبياتها بالتحليل الكاتب والأديب العراقي زهير غازي زاهد (2007) في كتابه "النورس والعاصفة".

- "وزائرتي" قصيدة منشورة بجريدة دنيا الوطن الفلسطينية بتاريخ 2012/1/1.

- "النورس الضاحك أو الساخر" مجموع قصائد الشاعر التي دارت بينه وبين إخوانه، فيما يُعرف بإخوانيات عبد المولى. هجا بها أصدقائه، وجادل فيها معهم الأعداء الساخر. ويعمل الشاعر حالياً على إخراجها في ديوان واحد (جبران. 2007).

- مجموعة قصائد أخرى. هي مجموعة قصائد متعددة المضامين والأشكال كتبها الشاعر بعد طباعة الديوان أَراني بعضها وأنبأني بغيرها عند لقائي به (2016).

1.3.2- المطلب الثاني: روافده وتأثره بالشعراء

مفهوم الرِّفْد: الرِّفْد العطاء والصلة. والرَّفْد: بالفتح المصدر رَفَدَه يَرْفِدُه رَفْداً أعطاه. ورفَده وأَرْفَده: أعانه، وترافدوا أعان بعضهم بعضاً. الرافد: الذي يلي الملك ويقوم مقامه إذا غاب. والرِّفْدُ: الصلة، يقال: رَفَدْتُه

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

رَفْداً. والإِرْفاد الإِعطاء والإِعانة، والمرافَدة المعاونة. والتَّرافد: التعاون والاستِرفاد الاستعانة والارتفاد الكسب والتَّرفيدُ التَّسويدُ (ابن منظور، رفد).

يعتمد الشعر على موهبة أدبية، وملكة فطرية، ينبغي توفرها في الشاعر لتعينه على قول الشعر، بيد أنها تبقى قاصرة ما لم تدعمها أدوات تبرزها للمتلقي، ومناخ صالح يهيىء للشاعر فرصة الإبداع ويعينه على استكمال أدواته وإنضاج موهبته، على أنه من دون الموهبة والملكة؛ لا يمكن أن تؤدي الأدوات ولا المناخ – الروافد – إلى خلق شاعرٍ أو أديبٍ. وعن هذه الفكرة أشار ابن الأثير، ضياء الدين (1995: 27/1) قائلاً: "متى لم يكن ثم طبعٌ؛ فلم تفد تلك الآلات شيئاً البتة، فمثل الطبع كمثل النار الكامنة في الزناد، ومثل الآلات كمثل الحُراق والحديدة التي تقدح بها، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نارٌ؛ لا يفيد ذلك الحُراق ولا تلك الحديدة شيئاً".

قد تتنوع الروافد بين شاعر وآخر حسب طبيعة وظروف كل شاعر. لكنها لا تختلف عن بعضها كثيراً فأغلبها يسعى بين الطبيعة والإنسان. والمتدارس لكثيرة من الشعراء له روافده التي ساهمت بشكل أو بآخر في تكوين ملامح شعره. فقد نحل من عدة روافد كان أكبر الأثر في تشكيل عواطفه ووجدانه وميوله الشعري، ورسم خلفية نصوصه، وفضاء لبوحه وبؤرة الرؤى فكانت نقطة انطلاقه نحو إبداعه وإشراقة غده الفني. وقد جاءت أبرز الروافد التي نحل منها عبد المولى على النحو التالي:

أولاً: الباعث الشخصي (والديه): نشأ والد الشاعر وأسرته في جو من الحزن العام الذي خيم على ليبيا إبان الاحتلال الإيطالي. فكان تأثير ذلك الحزن والألم الذي أورثه الأب لابنه الشاعر شديداً عليه حتى إن شيئاً من أنفاسه ظلَّ يسري في شعره؛ لما كان لوالده من دور مهم في حياته. فقد أورثه حساً إنسانياً مرهفاً،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وعاطفة دينية جياشة، وجعله شديد التعلق بقيم الوفاء والإخلاص، فكان الأب أكثر الروافد التي نهل منها الفتى لتترك أثراً واضحاً في شعره ومكوناته (السويح. 1999).

أمَّا الأم فقد حسدت دندناتها وأهازيجها الشعبية التي كانت تلقيها غناء فطريًّا تلقائيًّا على مسامع ابنها رافداً موسيقياً شدَّ عليه الفتى وتشبعت به أُذنه، فبين أحاديث الألم والحزن، ودندنات الفرح والبهجة تكونت في نفس الفتى عبد المولى أحاسيساً تستزيد من هذا الإيقاع وذاك النغم، لترسم في آفاقه رغبة غامضة كان لها أعمق الأثر في تشكيل شخصيته (زاهد، زهير. 2007).

ثانياً: الباعث المعرفي والثقافي: تلقى عبد المولى تعليمه الأول على يد كتاب قريته شط الهنشير. فقد حرص والده على أن يحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وهو ما تم بالفعل في بواكير مراهقته أوائل 1952، مما جعل وجدانه إسلاميًّا مفعماً بروح الالتزام ينمو مع نمو جسده. وفي هذه المرحلة؛ إلى جانب حفظ القرآن، اكتسب عبد المولى أُذناً موسيقية إلى الإيقاع بفعل إصغاء الجرس القرآني وإيقاعاته العذبة التي كانت تملأ قلبه وأُذنه، فينطلق معها على سجيته منغماً عند قرأته لبعض الآيات القرآنية. وإلى جانب القرآن الكريم كانت هناك منظومة من المدائح النبوية ينشدها الصبية في الكتاب بمناسبة المولد النبوي الشريف؛ كانت هي الأخرى مصدراً للإيقاع بالنسبة لطفولة عبد المولى (البغدادي. 2010).

واصل البغدادي تعليمه في أحمد باشا، في بيئته تحرس التراث، تشغل الدراسات الفقهية واللغوية فيها الحيز الأكبر، بيد أنها كانت تحفل بالأدب والشعر. قرأ عبد المولى في المعهد الشعر القديم على شيوخ كان لهم الفضل بعد الله في حياته الأدبية. وكان الفتى وزملاؤه بالمعهد يُمنعون من قراءة الشعر الحديث ويُحذرون من تداوله، والشعر الجديد آنذاك شعر المهجر، والعقاد، والمازني، لكن عبد المولى وبعض زملائه

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

كانوا يقرأون سراً الشعر الجديد والمقالات التي تُكتب عنه وعن شعرائه كالشابي في كتابات الأستاذ خليفة التليسي، وأبي القاسم محمد كرّو وغيرهما (السويح. 1999).

وعلى الرغم من تلقيدية المعهد فقد كان فيه أبرز شخصيتين مؤثرتين في تكوين الفتى ثقافياً هما عمر الجنزوري، وعبد السلام خليل. عمّق الأول صلته بالتراث فكان له كبير الأثر في ربطه بالشعر القديم وتعميق إحساسه به. وفتح الثاني أمامه آفاق الشعر الحديث، فكان أكثر شيوخه قرباً إلى نفسه حين وجد في صوته المجدد شيئاً ما كانت تهفو إليه نفسه. لذلك يجمع عبد المولى في شعر بين الأصالة والتجديد. كما شب الفتى من خلال هذا المعهد على حب اللغة والقراءة والعلم والاستزادة منه. وهذا الرافد كان له تأثير كبير عمَّق حبه وعشقه للغة العربية، مما دفعه للالتحاق بكلية اللغة العربية بمدينة البيضاء. التي فتحت أمامه آفاقاً أرحب للبحث، وعمقت فهمه للكثير من قضايا اللغة والأدب (ناهد، زهير. 2007).

ثالثاً: بيئة حياة الشاعر: لكل شاعر مناخه الاجتماعي الذي يؤثر ويتأثر فيه، عند إبداعه لقصائده واختياره للألفاظ المناسبة لصياغتها. وعبد المولى البغدادي ليس استثناءً، فقد ولد في مجتمع قروي محافظ يقدس الدين، ويحترم الأعراف والتقاليد، فترك المناخ الاجتماعي السائد في مجتمعه بصماته على سلوكه وفكره وأخلاقه. ومثلما كان عبد المولى ابناً باراً لبيئته الاجتماعية يستمد من روافدها، كذلك كانت الطبيعة بالنسبة له، فهو جزء منها، وهي مصدر إلهامه. فقد راقب ما حوله من جمال الطبيعة في قريته "خط الهنشير"، لينعكس الجمال والسحر على شعره، وتغدو الكلمات موسيقى المكان والحانه الجميلة. حيث تمادت القرية بين أذرع البحر، فخرَّت لوقارها الأمواج، وتغنت لحسنها النوارس، وتمايس لنسيمها النخيل، وترنمت لسكونها السواقي. فوفرت تلك البيئة الساحلية الجميلة لشاعرها ألوانه الشعرية، وذلك ما جسَّده قوله (الديوان: 202):

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كـم هـو "الشـطُّ" رائـعٌ وجميـلٌ هـو راحـي وهمـسُ نـايِي وفـنِّي

والمسـاءَاتُ بـين رنـةِ عِيـدا نٍ وطبـلٍ وقـارىءٍ ومُغَـنِّ

والنواسـيحُ والمبـاخِرُ والأو رادُ فـيضٌ مـن الصـفاء اللَّـدُنِّي

فكل تلك المظاهر الإيقاعية وغيرها من الروافد؛ كانت تملأ حياة الطفولة لدى عبد المولى لتترسخ هذه اللوحة الموسيقية الفنية في نفسه، مشكلة بذلك الخلفية الانطباعية التي نمّت عنده بذور الشاعرية الوليدة، لتشارك إلى حد كبير في تكوين وجدانه. فقد أثرت البيئة الاجتماعية والطبيعية في تعزيز مدركات عبد المولى الحسية ودعمتا أفكاره وشكلتا مصدراً ملهما للكثير من أعماله. يقول عبد الفتاح رياض (1986: 11) في هذا الشأن: "إن الطبيعة هي المنبع الروحي للقوافد، والطبيعة قد تكون مماثلة في جسم الإنسان وعاداته وغرائزه، فالإنسان نفسه ظاهرة طبيعية من ظواهر هذا الكون". لقد انفتحت شخصية الفتى على روافد الطبيعة تلك، فتركت بصماتها وأثرها في نفسه، لتلعب فيما بعد دوراً كبيراً في تشكيل وتكوين وجدانه، ورسم ملامح شخصيته الأولى، ومصدرًا مهمًا من إلهام وشاعريته.

أما عن تأثر البغدادي بالشعراء فقد [illegible] في: امرئ القيس، وعلقمة الفحل والشنفرى وجرير والفرزدق أمثلته العُليا في الشعر. وكان يقترب بحذرٍ شديدٍ من "المجددين" مثل شعراء المهجر، والرومانسيين، لكنه يُقْبِلُ على شعراء التقليد المجددين أمثال: البارودي، وشوقي، وحافظ في مصر، والمهدوي، والشارف، وقنابة، في ليبيا. غير إنه عرف التجديد والتطوير في مرحلة متقدمة من حياته. وكان من أبرز الشعراء الليبيين الذين تأثر بهم وأكثرهم قرباً لنفسه؛ الشاعر أحمد رفيق المهدوي، الذي اختاره موضوعاً لدراسته في الماجستير. متعمقاً إلى حد كبير في دراسة شعره، نافذاً لجوانب متعددة من شاعريته الخصبة. فكان لتلك

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الدراسة، ومعايشته الطويلة لشعر رفيق، واضح الأثر في تشكيل ملامح شاعرية عبد المولى البغدادي التي مثلت عندهم محطة مهمة لشحذ الهمة واستنهاض قدراته الشاعرة. فقد وجد في مدروسه شاعرية فذة خرجت من رحم التقليدية الجددة والتوق إلى التجديد والتحليق في عوالم شعرية أرحب. ثم أنه تأثر بجانب آخر وافق هوىً في ذات الشاعر، تمثل في الجانب الساخر الذي تحول فيما بعد إلى ملكة تعبيرية مكنته من تصوير الأشياء والأشخاص والمواقف تصويراً كاريكاتيري وضعهم فيه تحت مجهر الدعابة (السويح. 1999).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ظهرت ظاهرة التأثر والتأثير لدى الشعراء حيثما انتشرت الدعوة إلى التجديد. فقد تأثر قسم من الشعراء بشعر المهاجر، وموجة الحداثة في الغرب وحضارته. فرياح الثقافة التي هبت من فرنسا وصلت لبنان أولًا، ومصر وامتدَّت إلى العراق، ومن أطلع أدباؤها على نتاج أدباء لبنان ومصر. لم تكن ليبيا بمعزل عن إيقاع الحياة الثقافية، إذ سرعان ما اطلع أدباؤها على الأدب الإيطالي وتأثروا بموجة التجديد في مصر والمشرق العربي. وهكذا اتسعت موجة التجديد والدعوة إلى الحداثة في الأدب والشعر خاصة، واستقبل الشعراء الليبيون هذه الدعوة. فمنهم من وقف منها موقفاً مناصراً للاندماج في التجديد، لكنه ظل محافظاً على هيكل القصيدة العربية، وجعل تجديده في مجال الصورة والمضمون وفي مقدمتهم التليسي، وعبد المولى البغدادي، وإن لم يخلُ شعرهم من قصيدة التفعيلة والشعر الحر، وكأنما كان اهتمامهم بالشعر دون النظر إلى الشكل. ومنهم من كتب القصيدتين العمودية، ثم الحرة. ومنهم من كان مسكوناً بالتجديد، فكتب في الموزونة ثم الحرة ثم قصيدة النثر. ومنهم من غلب عليه الشكل الحديث متمرداً على الشكل المألوف (زاهد، زهير. 2007).

1.3.3- المطلب الثالث: آراء نقدية حول شعر البغدادي

يرى فاروق شوشة (2011) إنَّ الأدب الليبي في مجمله أدبٌ لا يحب الإعلان عن نفسه طالباً أكتشافه. لذلك لايعرف القارئ العربي الكثير عن الشعر في ليبيا، كما أن الأسماء التي استطاعت اختراق الحاجز والتحليق في الفضاء العربي من بين الشعراء قلة قد لا تتعدى أصابع اليد الواحدة من بينهم في العقود الأخيرة: علي فهمي خشيم، وراشد السنوسي، ومحمد الفقيه صالح. ويذهب (شوشة) إلى أن بجانب هؤلاء هناك الشاعر عبدالمولى البغدادي الذي يتميز شعره بطول النفس والوعي الكبير بجماليات الشعر العربي عبر عصوره التاريخية المختلفة واصطناع لغة شعرية لها سلطتها وقدرتها على لفت الانتباه وجذب المتلقي إلى تأمل عناصرها البنائية وقدرتها على الإدهاش، إضافة إلى النزعة الأسطورية التي اعطت لشعره مذاقاً خاصاً ميزه عن غيره من الشعراء الليبيين، وأتاحت مساحة معجم شعري ثائر مفرداته في قصائده.

وعلى رأي سعدون السويح (1999) فقد كانت الموضوعات الأكثر حضوراً في شعر عبد المولى الذات في شموليتها والوطن في اتساعه، وهذا الحضور للذات تتجلى معاناة الإنسان الحاضرة أبداً في قصائد الشاعر المؤمن بأن الشعر رسالة تعبير. وموقف رافض لما يعوق حركة الإنسان أو ينقص من آدميته. والشاعر من المخضرمين المعاصرين الذين جايلوا المقلدين والمجددين شعراً، فتمسك بالقصيدة الكلاسيكية ذوقاً ومنهجاً، ولم ينكر على القصيدة الحديثة شاعريتها. وقد نالت قصائده القومية صداها الواسع على امتداد الساحة العربية، لما امتازت به من صدق وشفافية وتجرد. ولم يكن الشاعر غَزِلاً أومتفلسفاً أو رمزياً، لكنه عميق العاطفة، صادق التجربة، سلس العبارة، واضح اللغة، عذب الموسيقى الشعرية، المرأة والرمز والتأمل جميعها حاضرة في شعره مبثوثة في قصائده، يعالجها بأسلوبه الخاص.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويتحدث محمد محمود نوفل (1983) عن عبد المولى الشاعر. فهو كما يراه شاعرًا أحب الوطن والإنسان والحرية، فتجسد ذلك الحب في شعره المفعم بالحب المتحسس لجراحات الوطن والإنسانية بصورة عامة؛ فاتخذ من الشعر عالماً عاش في آفاقه، وعاش الشعر في عالمه حتى لكأنه العاشق يهيم في وديانه. فقد صار الشعر عالمه الذي يأنس بسواه، حتى غدا مجال قوته وضعفه، فحديثه شعرٌ وأفراحه شعرٌ وأحزانه شعرٌ ومداعباته بألوانها المختلفة شعرٌ رقيقٌ برغم قسوة لسانه، هادئ برغم دوي الثورة، والتمرد في داخله؛ لكنه في كل أحواله صادق الشعور، صادق الكلمة، صادق الموقف.

ووصف محمود زقوف (2007) شعر البغدادي بأنه مبرأ من شوائب الزُلفى والنفاق من أجل أطماع دنيوية زائفة. فشعره خلجات فكره، ومشاعر روحه، ونبضات وجدانه. وهو قطعة من نفسه التي يسمو بها وتسمو به إلى آفاق رحبة من الطهر والصفاء الروحي. خلال تقديمه لقصيدة البغدادي التي احتذى بها بردة البوصيري، واصفًا إياها بأنها واحدة من الروائع الشعرية، ووصف شاعرها برقة الحس، ورهافة الشعور وصدقه.

أما الكاتب والأديب الليبي محمد مسعود جبران (2007) فوصف شعر عبد المولى بأنه يتميز بمعان طارفة ومبانٍ وارفة مثلت ملامح تغريده وتجريده، متأثره بالشعراء المجودين كعديقه نزار قباني. وأن الشاعر نجم متألق بين أنجم الشعراء في سماء ليبيا، يشير فيما يشير إليه من روعة شعره إلى انتظامه في كوكبة المبدعين من الشعراء الليبيين من سابقيه أمثال: مصطفى بن زكري، وأحمد رفيق المهدوي، وأحمد الشارف، وإبراهيم الهوني، وإبراهيم الأسطى عمر، وأحمد قنابة، وخليفة التليسي، وغيرهم من الشعراء الذين استوحوا ربة الشعر وغنوا على قيتارتها بخوالد الألحان. فهو لا يقلُّ شأناً عمن سبقوه ومن جايلهم، فهو حيوي في رؤيته الشعرية،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يسعى للمزيد من التحوير والتطوير، وإثراء الشعر الليبي بالمستملح منه، والخروج به من الدوائر الضيقة إلى الفضاء الرحب.

وحسب علي الكلوني (2007)، فعبد المولى شاعرٌ شيق العبارة، متصرف بها، سهل المتناول، صعب المحاكاة، فطن سريع البديهة، أبدع في ضروب الشعر، يتردد شعره على الألسنة. ولعلَّ أمتع أشعاره ما دار بينه وبين إخوانه، فيما يعرف بإخوانيات عبد المولى، و يجري أغلب شعره في ميادين الغزل والسياسة والرثاء والإخوانيات. وله إبداع في الشعر العمودي، والحر قلَّ نظيره، وقلَّ من بلغ شأوه، فأجاد في كليهما. ولربما لا يوجد شاعر أو أديب ليبي لقي الحفاوة والحظوة من عشق الجماهير التي كانت تحضر لسماع أشعاره، ما يدل على رتبته بين أقرانه من الشعراء، وعلو كعبه في مضمار الشعر. فالعشق الذي بينه وبين محاريب العلم ما سطَّره قلم على ورق، ولا أبدع بعاشق على فنن، مثل الذي به محب وامق حبيباً عاشقًا.

ويرى الأديب التونسي محمد علي (2007) إن شعر البغدادي يكاد يكون قصيدة واحدة مطولة كُتبت في ظروف مختلفة وأوقات متباعدة، ولكنها متحدة فيما طرح به في "القصيدة المدخل" يتردد صداه فيما تلاه من شعره. فعبد المولى البغدادي حريص على تأسيس تصوراته عن الشعر في كل قصائده. يقول المسدِّي، عبد السلام في مجلة فصول (1997: العدد الأول، المجلد 16): "لا يتأتى من شرعية في الحديث عن الأدب إلّا من خلال إحساسٍ به، أو من خلال إدراكٍ به، فبين الإحساس والإدراك مسافة مابين لذة النص ولعبة التفسير، ولا يستوي للنقد خطابٌ ما لم يستقم بالأدب نصٌّ: هو الشاهد والمشهود".

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويذهب المي (2007) إلى إن العالم الشعري في ديوانه "على جناح نورس" عالم تختلط فيه عناصر الإحساس بعناصر الإدراك. فعالم المحسوسات عنده جادت به المعاني الحافة، فأساس الشاعر المنطلقات النفسية المعتملة في داخله من يتم وغربة...الأمر الذي يفسر رهافة حسه وتأثره بكل حادثة، فهو سريع الانفعال، مصدقٌ لكل ما يحدث، مؤمن بالطوارئ. أما الإدراك ففي تفاعله مع ما يحدث في العالم من حروب وكوارث تهدد الإنسانية، وكذلك في تفاعله مع القيم العليا المهددة بالتيه والتلاشي، فهو في أشعاره بطلٌ إشكالي يحيا قيماً أصيلة في عالم متدهور. في شعره كثير من العروبة، كثير من الوفاء، كثير من البكاء، يذكرك شعره بالمفهوم الأول للشعر، ذلك الكلام الذي يحتمل رسالة هي بالضرورة رسالة التغيير: تغيير الطباع والأنفس، والعالم والموجودات، فلا يختلف ديوان "على جناح نورس" على جمهورية أفلاطون، إذ هو يسعى إلى تقويض البُنى الموجودة لبناء كون من الموجودات والمُثل.

وعلى رأي عبد الإله الصائغ (2007) فان عبد المولى البغدادي شاعرٌ يمتلك تجربة عريضة في إيداع القصيدة والتأثير في وجدانات المتلقين. فالقوافي المستلهمة من بيئته المحلية سابحة في الفضاء، غائصة في أعماق المجهول، والشعر عنده إبحار إلى المطلق فهو معلم لا يأبه بأهوال ذلك المطلق المجهول. فالقصيدة البغدادية بناء إدراكي عاطفي. مبدعها له جودة الانتقاء اللغوي الذي يمارسه على معجمه الخاص، وعلى لغة قصائده، للوصول إلى ألفاظ مشحونة بالمضامين، لها القدرة على تحمل الشحنات، ثم الخضوع لذلك المنتقى في عملية البناء الكلي، مولداً قواماً متلاحماً ليجنب العملية الإبداعية داء التشتت والافتراق. ولعبد المولى البغدادي قدرته على اجتياز الزمان والمكان، وتحطيم الأشكال بحركة دائبة، وعواطف يانعة متقدة شابة

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

متجددة، كشباب روحه، الرافضة للخنوع، المتمردة على الزمن المتهادم. فقد استطاع الشاعر أن يترجم طاقته الوجدانية إلى واقع شعري يسمو في فلك الإبداع (عبد القادر، علي عبد الرزاق. 2007).

وبدوره علّق الأديب السوداني عبد الرحمن محمد صالح (2007) على أبيات للقصيدة "المدخل" المحضية بمتانة السبك. مطلقاً العنان لآرائه النقدية في شاعرها (الديوان: 65):

رُبَّ شِعرٍ قد صار شِعراً مِرارا مثل لحدِ القُبُورِ لابنِ العلاءِ

وقوافٍ على جماجم أُخرى كبناءٍ على بقايا بناءِ

مصرّحًا إن الذي بدا الديوان يروق لأبي العلا، فلا بدّ أن تلحظ فيه حكمة المتنبي، وتصوير شوقي، وأبي فراس، وأبي تمام، والبحتري. فهو شيء على مقربة منهم، بيد وبينهم ألف لون ولون، منهم تتشكل لوحته الشعرية، فيصوغ للقوافي وينأى بها عما تنسجها، أمثلة لها مرآة القرون ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كأن الحبر من خبايا العروق. إنه نحّات وبيده أزميل، إنسان له عاطفة متأججة، شاعر ترفض قصائده الشيخوخة. متحدث كأن البراعة اختطت من بعده، لي عيد بريق القلق الذي ينتاب الشعراء شهود الأزمنة ومشاهدها، في خطواته تسارع الخواطر التي تلفّ الصباح، أو المساء قبل المساء. لكن ديوانه "على جناح نورس" يأبى الانتشار في زمن التقدم إلى الخلف، لا تتنشد إلا وهي ترتجف، كما مس الشعر، أو كأنها آخر أغاني وأحزان وادي عبقر وهو يودع رونقه والبهاء. كأنه متفرد لكأن القلم بين أصابعه مجتمعة، يحاول أن يكتب الحقيقة الخالدة. هو نورسٌ يحلق إلى سموات لم تعدها الأعالي من قبل ولا من بعد. شعره رصين محكم كأنه الجمال المنظوم، وهو أصفى من المرآة، ومشاعره أجلى من السرائر.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وأثناء تعليق سفير السودان الأسبق لدى ليبيا عبد الماجد الأحمدي (2007) على بعض قصائد ديوان البغدادي "على جناح نورس" حين التقاه في جزيرة مالطا وأهداه الديوان. أقرَّ أن الشعر ينساب منه كالسيل الدافق، أو البحر الهادر في أشعاره التي تغنى بها عن الوطن والقومية، أو كالجداول الرقراقة المنسابة في شعره الغزلي الرقيق. فهو ينتمي إلى كبار الشعراء، وتتدفق قصائده وصلاً أصيلاً لأشعار نزار قباني. وفيها تجسيدٌ غريبٌ للأشياء وتشخيص لها، ونبض بالحياة، وجدانياته تهز الأفئدة، فيعايشها الآخر، وكأنه مرَّ بالتجربة شخصياً.

وصف زهير أحمد (2007) شعر البغدادي بأنه الكلمة الملتزمة النابعة عن وعي تراثي وتجربة أخصبتها الحياة بما أبدع به الشاعر من قلق من جهة، وغمرة إدراك شعري في آفاقه المختلفة واستيعابه من جهة أخرى، فانطلق صوته من ضيق الأفق المحلي إلى قاعدة جيل الستينيات الثقافية، يقف عليها، ويمدّ عينيه في آفاق الحداثة. وهو شاعر يعيش بين الالتزام والقلق، وقلق يعيش الشعور بغربة المكان والزمان. لكنه مبهرٌ بكلامه، ساحرٌ بظُرفه الشعري، ساحرٌ بعطائه الأخوي. إلى جانب ظرفه له مواقف في الجد عبَّر عنها في ديوانه بما يبرز قدرته الشعرية الكبيرة التي تطوع له اللغة للتعبير عما يريد، ليطلَّ على الحياة من آفاقها الرحبة، وهذه فضيلة قدمته على غيره من الشعراء. ورؤيته في الشعر رأى أنه رسالة يؤديها الشاعر لمجتمعه، متخذاً من الإنسانية مجالاً لخواطره وأفكاره والسياسة ألغاه في ديوانه فمخلص لها ولتراكيبها، فهي فصيحة الألفاظ، سليمة الجمل الشعرية، لوعيه بالتراث وحفظه له، وقدرته العالية على التصرف باللغة في كل ألوان شعره وأغراضه.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وعلى رأي الباحث الموريتاني أبوه ولد أعمر (2010)، فعبد المولى البغدادي شاعر ملتزم بالمعاني الدينية والأدبية في شعره، يتنفس عطر الوحي في كتاب الله العزيز الذي اختزنه صدره منذ صغره، تجد في قصائده ذات الطابع الديني لوناً جديداً من ألوان الشعر الديني يتمثل الواقع المحسوس ويترسم الجوانب الإيجابية بعيداً عن الانزلال إلى السلبيات والمبالغات وقد استطاع اقتحام هذا المجال بجدارة بمؤهلاته الدينية والشعرية والاجتماعية.

خاتمة الفصل الأول

يرى الباحث من خلال اطلاعه على شعر عبد المولى البغدادي، وتتبع المحطات التي تناولت شعره. أنه جاء متعدد الأغراض والمضامين، إلَّا إن الشعر الوطني والسياسي أكثر ألوان الحياة الأدبية ورودًا في ديوانه "على جناح نورس"؛ مواكباً به الواقع السياسي الذي يعيشه ممتشقاً قلمه مُجرِّداً لسانه للذود عن الوطن والقومية في صورة نضالية ألقى بها الضوء على الأحداث السياسية الساخنة التي شهدها الوطن. والشعر لدى البغدادي في مجمله وبتعدد أغراضه ومضامينه فن يتصل بالوجدان وصوغه الإحساس المرهف، والشعور الصادق، والعواطف الجياشة، وغايته الإثارة والسمو بالذات عن طريق الترتيب بقيم تعبيرية جمالية. فعبد المولى وإن كان سياسي الشعر وطني الشعور، لكنه في عرضه للسياسة يعرضها من زاوية الفن ومنطقه، إنما يُلبسها من فنه ليجعلها جزءًا من قوة المجتمع الروحية. ويكسبها حرارة قلبه المتفاعل في الآخر.

تميز أسلوب البغدادي الشعري، بكونه تأملي محرك للعواطف، يسلك سبيل التأثير الشعوري الوجداني الذي يحتوي النفوس بالأخيلة البيانية والصور المبتكرة البليغة لاجئاً في بعض الأحيان للتضخيم

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والمبالغة بعبارات دالة. إنه انتفاضة وجدانية وشدو روحي، ونفحة تنبعث من الذات، فيه عذوبة في التذوق، ولذة في الاستماع.

واستناداً لما تقدم، يمكن الخروج بالنتائج التالية، حول محركات الإبداع لدى عبد المولى البغدادي، والاتجاهات والمضامين الشعرية في ديوانه. وهي كالآتي:

أولاً: وجود عاملين في حياة البغدادي، كان لهما دور كبير في نشأته: الأول تأثره الشديد بحياة والده، وما فيها من حرمان وألم، الأمر الذي انعكس على تكوين جزء ليس بقليل من شخصيته الشعرية. أما العامل الثاني فتعلقه بمظاهر بيئته المحلية بروح الإيقاع المتناغم، الذي أكسبه أُذنًا موسيقية؛ ساهمت إلى حدٍ كبير في بناء شاعريته فيما بعد.

ثانياً: البغدادي شاعرٌ بالفطرة، متيم بالشعر منذ الصغر، شاديًا بأنغامه كيفما أراد. فقد نشأ مصحوباً بشاعرية ملازمة له. لكنها تمرض وتصح، تضعف وتقوى، تغور وتروح، كما هو الحال عند الشعراء المرهفين. فقد ظهرت بوادر شاعريته الأولى، ونمت عند بداية الشعر؛ فمشاعره الوجدانية كامنة في أصول ذاته الطبيعية منذ الولادة، فهي هبة الله إليه. لكن تلك الموهبة الفطرية شهدت مرحلة فتور إبان تواجده بالقاهرة، صارفاً جهده لدراسة الماجستير 1968، والدكتوراه 1971، لتعود أكثر إشراقاً فيما بعد. فقد حمل في نفسه رسالة الشعر التي أخذت تنضج وتتسابك لتسابق عهود العمر والمعرفة، ساعده في ذلك تعليمه، وامتلاكه أدوات التعبير الفني، النابعة من ذاته المشحونة بوحي من الطبيعة؛ فأخلص للشعر الذي يعتبره رسالة حياة ومشروع أمل.

ثالثاً: خرج البغدادي بعمله في صورة متعمدة توازي الانعكاس الفطري أو غريزة الانفعال لديه، ساعدته في ذلك مشاعره المرهفة. فرسم قزحية نصوصه، وأنتج ثمرة الشاعرية والإبداع. فقد جمع عبد المولى في تشكيل

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

لوحته الأدبية بين الموهبة المتفتقة ومحفزات الإبداع في بيئته. لذلك فآليات نمو الإبداع لديه هي نسيج ملتحم بين ما هضمه من الخارج، وعملية التخزين المتفاعلة، والنقد الذاتي واعتمالهما إيجاباً في نفسه.

رابعاً: عالم عبد المولى الفتى مليء بالموسيقى، بالمعنى الأوسع. انطلاقا من أزجال أمهِ على الرحى، مروراً بالحياة اليومية بقريته وما فيها من موسيقى الطبيعة المتنوعةإلى تلاوة القرآن الكريم، والمدائح النبوية التي كان ينشدها وزملاؤه، وصولاً إلى موسيقى الخبب التي تردد أصداؤها حوافر خيل العربات على إسفلت الطريق في المدينة طرابلس.

خامساً: جاءت أغلب قصائد عبد المولى كأنها تحاكي الغائر بالمسبار، في تفاعل مع المكان والزمان. فكان إبداعه سلالة واقعه؛ الذي تعامل معه بإحساسه وخياله. فبالإضافة لهضم التراث، انفتحت نصوص البغدادي على التجدد، وهو ما دل على شاعريته بفضل ثقافته الواسعة التي استوعبت الجديد الجيد، لتتنوع قوالب وأشكال شعره، في تنقل سلس بين أسلوبي الأصالة والتجديد، مُشكلاً بذلك خلفية لوحته الفنية التي ازدانت بجمال الذوق وعبقرية الإبداع. فاستطاع أن يسبر أغوار ذاته من خلال تأمله في اكتناه العالم من حوله.

سادساً: ضم ديوانه "على جناح نورس" الشعر الوجداني، والشعر الديني والاجتماعي، والشعر الوطني متضمناً الأطر القومية والسياسة، والشعر التاريخي والتعليمي، أما الغزل فقد جاء مبثوثاً في قصائده الوطنية متغزلاً بالوطن. فقد وقف عبد المولى من الأغراض والمضامين التقليدية، كغيره من الشعراء، موقفاً أملته عليه طبيعة عصره، مقبلاً على البعض ومعرضاً عن الآخر.

سابعاً: اكتنز الديوان وثائق فنية كشفت صدق الشاعر وشفافيته وتقلباته في رحلة الوجود، بين النجاح والجراح، وبين الذاتية ومعانقة هموم الآخرين. موحداً بين الذات والموضوع. فجاء شعره صريحاً مبتعداً عن

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المراوغة، عاكساً لخفايا ذاته، محققاً في أغلب قصائده الوحدة النفسية والعضوية، بفعل تلاقح العاطفة بالخيال.

ثامناً: كان للقرآن الأثر الواضح في حياته الاجتماعية والثقافية والشعرية على الوجه الأخص. وإن لم ينفرد ديوانه "على جناح نورس" بقصائد دينية الغرض، لكنَّ النزعة الدينية حاضرة في شعره مبثوثة فيه. فقد تجلت صور الورع في مواطن عدة من الديوان لا سيما في المراثي. فالبغدادي ابن بيئةٍ محافظة. نشأ نشأة دينية والفَتْ بين بيته وبيئته، في منظومة قيم بعضها بعضاً.

تاسعاً: تحسَّس البغدادي قضايا مجتمعه واقعاً فعالجها شعراً. فلم يكن عالمه الاجتماعي محصوراً في رقعة جغرافية معينة، أو مشدوداً بسياق مكاني أو زماني، بل امتد ليشمل الإنسان والطبيعة بوجه عام، محطماً أسوار الجغرافيا متمرداً على الزمن. فقد تفاعل في عالمه الحزن والأسى مع الآخرين وعبّر عن قضاياهم بذاتية وواقعية.

عاشراً: اصطبغ شعر البغدادي بالتجديد. وليس التجديد في الشعر ينحصر عنده في قوالبه وأشكاله؛ بل في كثير من الأحيان يلتزم شكلاً واحداً كالعمودي مثلاً، لكنه يجدد في جوانب أخرى كالمعاني والألفاظ والتراكيب والصور وغيرها. فقد كان البغدادي متطلعاً إلى الأفق وما وراءه، بمشاعره النابضة وحسه المرهف، يتوق ذوقاً إلى التجديد في شعره على مختلف الأصعدة والمستويات.

أحد عشر: يُعد شعر البغدادي المتعدد الأشكال والمضامين والأغراض، بصوره ومظاهره المتنوعة؛ مثالاً لثروة أدبية، تترجم قوة الشعر الليبي ومكانته، لا سيما في الشعر العربي، الذي يجمع الآداب العربية ويجعلها في توحد وأتصال وترابط فيكسبها حيوية دائمة

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA